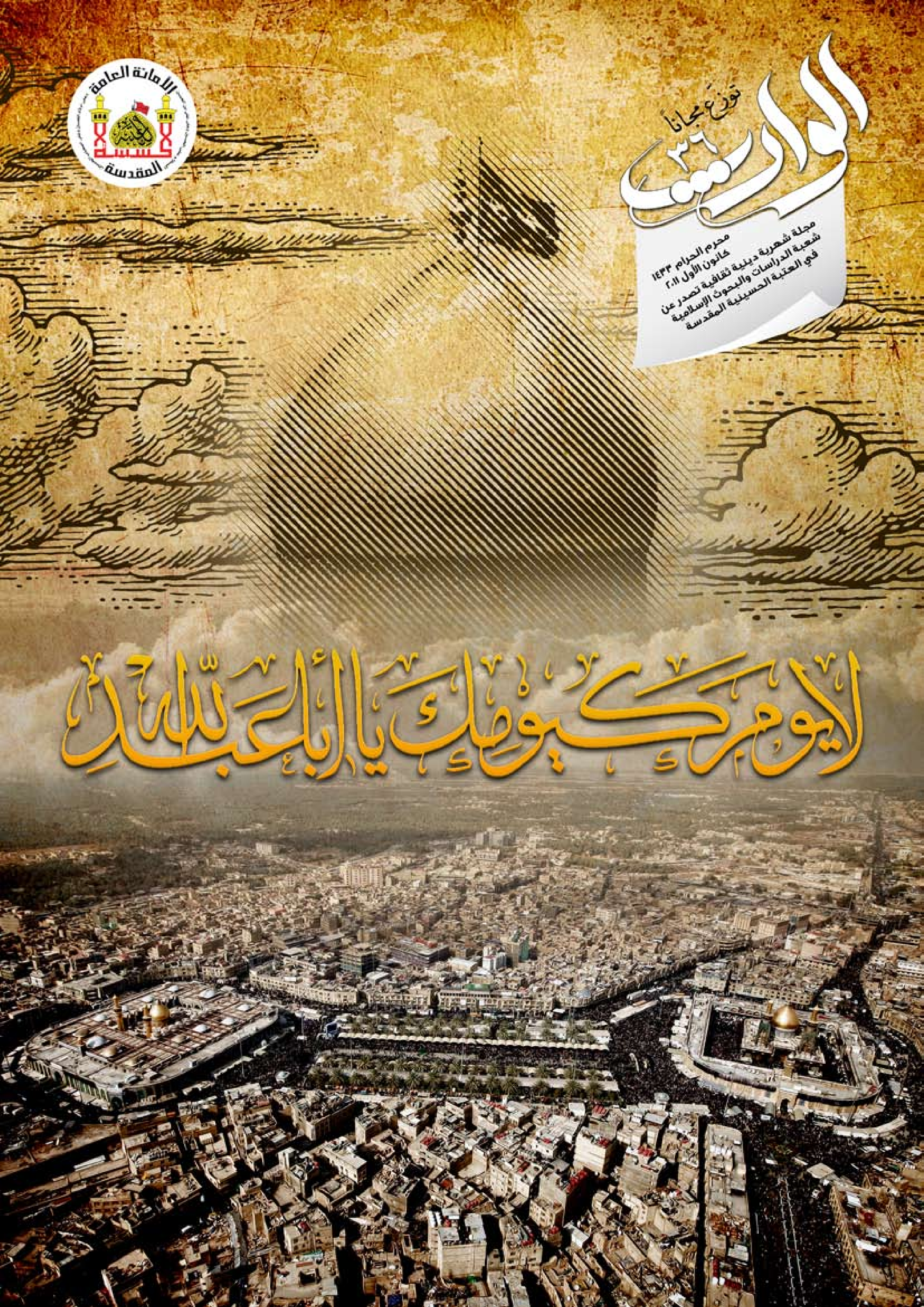
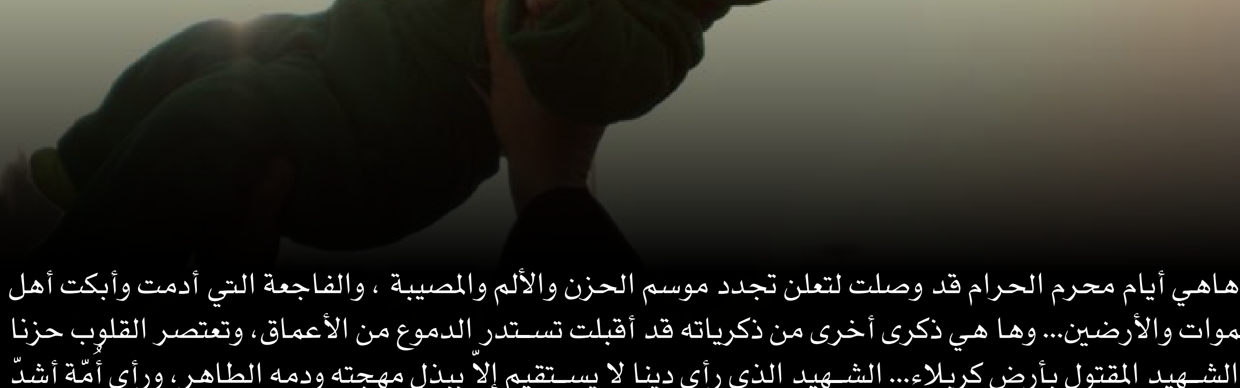

الأمانة العامة
المقدسة
الوارث
٣٦
توزع مجاناً
محرم الحرام ١٤٣٣
كانون الأول ٢٠١١
مجلة شهرية دينية ثقافية تصدر عن
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في العتبة الحسينية المقدسة
لا يوم كيومك يا أبا عبد الله



إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق -
وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩: ١٢١١

هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦ - داخلي: ٢٤٢
www.imamhussain.org
www.imamhussain-lib.org
info@imamhussain-lib.org

مسؤوليتنا تجاه ثورة الإمام الحسين عليه السلام ويوم عاشوراء



هاهي أيام محرم الحرام قد وصلت لتعلن تجدد موسم الحزن والألم والمصيبة ، والفاجعة التي أدمت وأبكت أهل السموات والأرضين... وها هي ذكرى أخرى من ذكرياته قد أقبلت تستدر الدموع من الأعماق، وتعتصر القلوب حزنا على الشهيد المقتول بأرض كربلاء... الشهيد الذي رأى دينا لا يستقيم إلاّ ببذل مهجته ودمه الطاهر، ورأى أُمّة أشدّ ما تكون احتياجاً للإصلاح... فتحرك ركبه من مدينة جدّه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم متوجهاً إلى مكّة ومنها إلى كربلاء، كربلاء التي استقبلت أقدامه الكريمة، واستقر فيها دمه ودماء أهل بيته المظلومين فأصبحت قبلة تهش إليها الأرواح وتهوي إليها القلوب.

والإمام الحسين عليه السلام ضمن بدمه بقاء الإسلام واستمرار أحكامه، فلولاه ولولا دمه ودماء أهل بيته وأصحابه عليه وعليهم السلام لما بقي اليوم على وجه البسيطة مسلم يقول «لا اله إلا الله»، وعليه فللإمام الحسين عليه السلام وليوم عاشوراء حق في رقبة كل مسلم، وكل واحد منا نحن العارفين بحق سيد الشهداء توجد في رقبته مسؤولية تجاه سيد الشهداء وتجاه ثورته العظيمة، ونستطيع ان نلخص بعض هذه المسؤوليات فيما يلي:

١: إحياء شعائر يوم عاشوراء بكل ما للشعائر من معنى ومفهوم ومصداق، لان المشاركة في استمرارية الثورة وإحيائها دائما فيه إحياء للدين، فحياة عاشوراء حياة الدين.

٢: إيصال صوت الإمام الحسين عليه السلام وصوت ثورته ومبادئها وأهدافها وانجازاتها إلى العالم أجمع بشتى الوسائل ومختلف الطرق الممكنة.

٣: إقامة المجالس الحسينية على وجه الخصوص، ومن لا يستطع إقامتها في الحسينيات والمحافل العامة فليقمها في بيته وسيرى بركاتها وآثارها واضحة بينة.

٤: مشاركة الإمام الحسين عليه السلام بالأموال، عن طريق إنفاقها على مجالسه وشعائره، وطباعة الكتب، وإقامة برامج القنوات الفضائية الدينية، وغير ذلك من الطرق التي لها ارتباط بيوم عاشوراء وثورة الإمام الحسين عليه السلام لينال المؤمن الخير الوفير والأجر الجزيل في الدنيا والآخرة.

٥: والاهم من ذلك كله الالتزام بتكاليف الشرع المقدس من الصلاة والعفة ومراعاة الحجاب بالنسبة للنساء وان يخلصوا نواياهم ويراعي بعضهم بعضا ويشعروا قلوبهم الرحمة والشفقة لجميع الموالين لتنزل عليهم بركات الله سبحانه ويرحمهم لان الله يرحم الرحماء ويتقبل من الأتقياء المخلصين.



الإمام الحسين عليه السلام في طريقه إلى كربلاء

الحلقة الثانية

عزيزي القارئ الكريم تناولنا في العدد السابق خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة في يوم التروية الثامن من ذي الحجة الحرام متوجّها إلى العراق وذكرنا المنازل التي مرّ فيها الموكب الحسيني حتى وصل إلى منزل ذات عرق.

ثم سار الإمام الحسين عليه السلام من الصفاح إلى العقيق، وسار من العقيق حتى إذا بلغ ذات عرق فلقيه رجل من بني أسد يقال له بشر بن غالب، فقال عليه السلام: (ممّن الرجل؟).

قال: رجل من بني اسد.

قال عليه السلام: «فمِنْ أينَ أقْبَلْتَ يا أخا بَني أسَدْ».

قال: من العراق.

فقال عليه السلام: «كَيْفَ خَلَّفْتَ أهْلَ العِراقِ؟».

قال: يا ابن بنت رسول الله خلّفت القلوب معك والسيوف مع بني أمية!

فقال له الحسين عليه السلام: «صَدَقْتَ يا أخا العَرَب! إنَّ الله تَبارَكَ وتَعالى يَفْعَلُ ما يَشاءُ، ويَحْكُمُ ما يُريدُ».

فقال له الأسدي: يا ابن بنت رسول الله! أخبرني عن قول الله تعالى:

((يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ)).[1]

فقال الإمام عليه السلام: «نَعَمْ يا أخا بَني أسَدَ! هُمْ إمامان: إمامُ هُدىً دَعا إلى هُدىً، وَإمامُ ضَلالَةٍ دَعا إلى ضَلالَة، فَهَدى مَنْ أجابَهُ إلى الجَنَّة، وَمَنْ أجابَهُ إلى الضَّلالَةِ دَخَلَ النّارَ».

وروى الصدوق رحمه الله باسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: سأل - رجل يقال له بشر بن غالب - أبا عبد الله الحسين عليه السلام فقال: يا بن رسول الله أخبرني عن قول الله عزّ وجل: (يوم ندعو كل أناس بإمامهم).

قال عليه السلام: «إمامُ دَعا إلى هُدىً فأجابُوهُ إلَيْه، وَإمامٌ دَعا إلى ضَلالَةٍ فأجابُوهُ إلَيْها، هؤُلاءِ في الجَنَّة وَهؤُلاءِ في النّار»، وهو قوله عزّ وجل:

((فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ)).[2]

منزل الحاجز

وأقبل الحسين عليه السلام حتى إذا بلغ الحاجز من بطن الرمّة بعث قيس بن مسهر الصيداوي إلى أهل الكوفة، وكتب معه إليهم:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيم، مِنَ الحُسَيْنِ بْنِ عَليّ إلى إخْوانه مِنَ الْمُؤْمِنينَ وَالْمُسْلِمينَ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ، فَإنّي أَحْمَدُ إلَيْكُمُ اللهَ الَّذي لا إلهَ إلاّ هُوَ، أمّا بَعْد، فَإنَّ كِتابَ مُسْلِم بْنِ عَقيل جاءَني يُخْبِرُني فيه بِحُسْنِ رَأيِكُمْ، وَاجْتماعِ مَلَئِكُمْ عَلى نَصْرِنا، وَالطَّلَبِ بِحَقِّنا، فَسَأَلْتُ اللهَ أنْ يُحْسِنَ لَنا الصُّنْعَ، وَأنْ يُثيبَكُمْ عَلى ذلكَ أعْظَمَ الأجْرِ، وَقَدْ شَخَصْتُ إلَيْكُمْ مِنْ مَكَّةَ يَوْمَ الثُّلاثاءِ لِثَمانِ مَضينَ مِنْ ذي الحِجَّة يَوْمَ التَّرْوِيَة، فَإذا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَسُولي فَاكْمِشُوا أمْرَكُمْ وَجِدُّوا، فَإنّي قادِمٌ عَلَيْكُمْ في أيّامي هذه إنْ شاءَ اللهُ، وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ».

وأقبل قيس بن مسهر الصيداوي إلى الكوفة بكتاب الإمام عليه السلام، حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين ابن تميم، فبعث به إلى عبيد الله بن زياد، فقال له عبيد الله: اصعد إلى القصر فسبّ الحسين بن علي وأباه!

فصعد ثم قال: أيها الناس! إنّ هذا الحسين بن علي - خير خلق الله - ابن فاطمة بنت رسول الله، وأنا رسوله إليكم، وقد فارقته بالحاجز، فأجيبوه، ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه، واستغفر لعليّ بن أبي طالب.

فأمر به عبيد الله بن زياد أن يرمى به من فوق القصر، فرُمي به فتقطّع فمات رحمه الله.

ماء من مياه العرب

ثم أقبل الإمام الحسين عليه السلام من الحاجز يسير نحو الكوفة، فانتهى إلى ماء من مياه العرب الذي وافاه بعد الحاجز، فإذا عليه عبد الله بن مطيع العدوي، وهو نازل به فلمّا رأى الحسين عليه السلام قام إليه، فقال: بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله ما أقدمك؟ واحتمله وأنزله، فقال له الحسين عليه السلام: «كانَ مِنْ مَوْتِ مُعاوِيَةَ ما قَدْ بَلَغَكَ، وَكَتَبَ إلَيَّ أهْلُ العِراقِ يَدْعُونَني إلى أنْفُسِهِمْ».

فقال له عبد الله بن مطيع: أذكّرك الله يا بن رسول الله وحرمة الإسلام أن تنتهك، أنشدك الله في حرمة قريش، أنشدك الله في حرمة العرب، فو الله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنّك، ولئن قتلوك لا يهابوا بعدك أحداً أبداً، والله إنّها لحرمة الإسلام تنتهك، وحرمة قريش وحرمة العرب، فلا تفعل ولا تأت الكوفة، ولا تعرّض نفسك لبني أميّة، فأبى الحسين عليه السلام إلاّ أنْ يمضي.

وقال الدينوري: وسار الحسين عليه السلام من بطن الرّمة فلقيه عبد الله بن مطيع وهو منصرف من العراق، فسلّم على

الحسين عليه السلام، قال له: بأبي أنت يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ما أخرجك من حرم الله وحرم جدك؟

فقال الحسين عليه السلام: «إِنَّ أَهْلَ الكُوفَةِ كَتَبُوا إِلَيَّ يَسْأَلُونَني أَنْ أَقْدِمَ عَلَيْهِمْ لِما رَجُوا مِنْ إِحْياءِ مَعالِمِ الحَقِّ وَإِماتَةِ البِدَعِ».

قال له ابن مطيع: أنشدك الله أن لا تأتي الكوفة، فو الله لئن أتيتها لتقتلن.

فقال عليه السلام: «لَنْ يُصيبَنا إلاّ ما كَتَبَ اللهُ لَنا»، ثم ودعه ومضى وسار قاصداً إلى توز، وأقبل من توز بركبه إلى فيد، ثم رحل من فيد وقصد الاجفر، وسار من الاجفر حتى نزل الخزيمية وأقام بها يوماً وليلة.

منزل الخزيمية

فلما أصبح أقبلت إليه أخته زينب بنت علي عليهما السلام فقالت: «يا أخي! ألا أخبرك بشيء سمعته البارحة؟».

فقال الحسين عليه السلام: «وَما ذاكَ؟».

فقالت: سمعت هاتفاً يهتف وهو يقول:

ألا يا عين فاحتفلي بجهد
ومن يبكي على الشهداء بعدي
على قوم تسوقهم المنايا
بمقدار إلى إنجاز وعدي

فقال لها الحسين عليه السلام: «يا أُخْتاهُ! المَقْضِيُّ هُوَ كائِنٌ».

منزل زرود

وسار الإمام الحسين عليه السلام من الخزيمية يريد الثعلبية، فمرّ في طريقه بزرود، فنظر إلى فسطاط مضروب فسأل عنه، فقيل له: هو لزهير بن القين، وكان حاجّاً أقبل من مكة يريد الكوفة، فأرسل إليه الحسين عليه السلام: «أَنْ أَلْقِني أُكَلِّمُكَ»، فأبى أن يلقاه، وكانت مع زهير زوجته فقالت له: سبحان الله، يبعث إليك ابن رسول الله فلا تجيبه! فقام إلى الحسين عليه السلام فلم يلبث أن إنصرف، وقد أشرق وجهه فأمر بفسطاطه فقلع، وضرب إلى لِزق فسطاط الحسين عليه السلام ولحق بالحسين عليه السلام.

قال أبو مخنف: حدثني أبو جناب الكلبي عن عدي بن حرملة الأسدي، عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديّين قالا: لمّا قضينا حجّنا لم يكن لنا همّة إلا اللحاق بالحسين عليه السلام في الطريق، لننظر ما يكون من أمره وشأنه، فأقبلنا ترقل بنا ناقتانا مسرعين حتى لحقنا بزرود، فلمّا دنونا منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين عليه السلام، فوقف الإمام عليه السلام كأنه يريده، ثم تركه ومضى، فقال أحدنا لصاحبه، اذهب بنا إلى هذا فلنسأله، فإن كان عنده خبر الكوفة علمناه، فمضينا حتى انتهينا إليه فقلنا: السلام عليك.

قال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ثم قلنا: فمن الرجل؟ قال: أسدي، فقلنا: فنحن أسديان، فمن أنت؟ قال: أنا بكير ابن المثعبة، فانتسبنا له، ثم قلنا: أخبرنا عن الناس وراءك؟

قال: نعم، لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة، فرأيتهما يجرّان بأرجلهما في السوق!

قالا: فأقبلنا حتى لحقنا بالحسين عليه السلام فسايرناه حتى نزل الثعلبية ممسيا.

منزل الثعلبية

فجئناه حين نزل، فسلّمنا عليه، فردّ علينا، فقلنا له: يرحمك الله، إنّ عندنا خبراً، فإن شئت حدّثنا علانية، وإن شئت سرّاً، فنظر إلى أصحابه وقال: «ما دُونَ هؤُلاءِ سِرٌّ».

فقلنا له: أرأيت الراكب الذي استقبلك عشاء أمس؟

قال: «نَعَمْ، وَقَدْ أَرَدْتُ مَسْأَلَتَهُ»، فقلنا قد استبرأنا لك خبره وكفيناك مسألته، وهو امرؤ من أسد منّا ذو رأي وصدق وفضل وعقل، إنّه حدّثنا: أنه لم يخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهانئ ابن عروة، وحتى رآهما يجرّان في السوق بأرجلهما!

فقال: «إِنَّا للهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ! رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِما»، فردّد ذلك مراراً.

فقلنا: ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلاّ انصرفت من مكانك هذا، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوّف أن تكون عليك! فوثب عند ذلك بنو عقيل بن أبي طالب وقالوا: لا والله لا نبرح حتى ندرك ثارنا، أو نذوق ما ذاق أخونا!

قالا: فنظر إلينا الحسين عليه السلام فقال: «لا خَيْرَ فِي العَيْشِ بَعْدَ هؤُلاءِ»، فعلمنا أنه قد عزم له رأيه على المسير.

فقال: «رَحِمَكُمَا اللهُ».

ثم انتظر حتى إذا كان السحر قال لفتيانه وغلمانه: «أَكْثِرُوا مِنَ المْاءِ، فاستقوا وأكثروا».

وقال الخوارزمي: وسار الحسين عليه السلام حتى نزل الثعلبية، وذلك في وقت الظهيرة، فنزل ونزل أصحابه، فوضع الحسين عليه السلام رأسه فأغفى، ثم انتبه من نومه باكياً، فقال له ابنه على بن الحسين: مالك تبكي يا أبت لا أبكى الله لك عينا؟

فقال الحسين عليه السلام: «يا بُنَيَّ إِنَّها ساعَةٌ لا تُكْذَبُ فيها الرُّؤْيا، فأُعَلِّمُكَ إِنِّي خَفَقْتُ بِرَأْسي خَفْقَةً فَرَأَيْتُ فارِساً عَلى فَرَسٍ وَقَفَ عَلَيَّ فَقالَ: يا حُسَيْنُ إِنَّكُمْ تَسْرَعُونَ المَسيرَ وَالمَنايا بِكُمْ تَسْرَعُ إِلى الجَنَّةِ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّ أَنْفُسَنا نُعِيَتْ إِلَيْنا».

فقال له ابنه علي: يا أبت أفلسنا على الحق؟

قال: «بَلى يا بُنَيَّ وَالَّذي إِلَيْهِ مَرْجَعُ العِبادُ»!

فقال ابنه علي عليه السلام: إذاً لا نبالي الموت.

فقال الحسين عليه السلام: «جَزاكَ اللهُ عَنّي يا بُنَيَّ خَيْرَ ما جَزى بِهِ وَلَدٍ عَنْ والِدٍ».

ورحل الحسين عليه السلام من الثعلبية وواصل سيره إلى بطان، وقد اجتاز الحسين عليه السلام من بطان وسار إلى الشقوق.[٣]

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧١.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٧.
(٣) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٣٣٧ ـ ٣٤٧.





(التوحيد) مصدر من (وحّد) (يوحّد) ومعناه عدّ الشيء واحداً مثل التعظيم، أي عدّه عظيماً، وقد يأتي بمعنى إيجاد الوحدة مثل (توحيد الأمة).

وحاولت بعض الفئات والمنظمات تطعيم روح الثقافة الإسلامية بالأفكار الأوربية الغربية عنها، ومن جملة ذلك ما فسّروا به التوحيد الإسلامي، فهم أخذوا المعنى الثاني للتوحيد (وهو إيجاد الوحدة) وقالوا لا معنى لإيجاد الوحدة بالنسبة لله، إذن لابدّ أن يكون معنى التوحيد في الإسلام هو إيجاد الوحدة في المجتمع، فأول أصل يجب أن نسعى لتحقيقه هو إيجاد المجتمع اللاطبقي، لابد أن تتحد جميع الطبقات، ولا علاقة لهذا التوحيد بالله.

وزعم بعضهم: أنه في الرؤية الإسلامية تتجه الأشياء نحو الوحدة وهذا هو التوحيد، واخترعوا لسائر الأصول الإسلامية مثل هذه المعاني التي تضحك الثكلى، وإذا لم يكن الإنسان مقيداً بضابطة فهو يكتب أو يقول كلّ شيء يدور في خياله ويتلاعب بألفاظ القرآن أو أي نصّ أدبي آخر، ولكننا نتساءل:

ما هو معنى التوحيد الذي هو أول أصل من أصول الرؤية الكونية الإسلامية؟

هل معناه توحيد المجتمع والاتّجاه الموحد، أم معناه عدّ الله واحداً وإظهار الوحدانية له؟

لم تستعمل في القرآن الكريم كلمة التوحيد ولا مشتقاتها (وحّد ـ يوحّد ـ فهو موحّد)، إذن بأيّ أسلوب طرح القرآن الكريم هذا الأصل الأساسي؟

إنه لم يستعمل كلمة التوحيد حتى نتصارع على أن التوحيد في القرآن ما هو معناه، وإنما هو يطرح هذا الموضوع وهو:

لابدّ أن نعتقد أنه لا إله سوى إله واحد، ويبيّنه بمثل هذه الأساليب:

((قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ))، ((أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ))، ((لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ)).

ولابد أيضاً ألاّ نعبد إلاّ الله، قال تعالى:

((ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ))، ((وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ)).

فعبادة الله واجتناب الطاغوت على رأس دعوة جميع الأنبياء، إذن لا يعني التوحيد الإسلامي شيئاً سوى توحيد الله.

وهو بمعنى عدّ الله واحداً وإظهار الوحدانية له، وهو بهذا المعنى في أيّ نص إسلامي ورد سواء أكان نهج البلاغة أم الأحاديث الإسلامية أم أيّ مصدر إسلامي معتبر آخر.

وتفسير التوحيد بأيّ معنى آخر إنما هو جهل أو انحراف مغرض، وهو لا يعني سوى عدّ الله واحداً، ولا علاقة له بالأمور الأخرى سواء أكانت على حق أم على باطل.

وحتى لو فرضنا أن الإسلام يدعو إلى المجتمع ذي الطبقة الواحدة فإن ذلك لا علاقة له بالتوحيد الذي هو أصل من الأصول العقائدية للإسلام.

وحتى إذا أثبتنا كون الإسلام داعياً إلى اتجاه المجتمع نحو المجتمع اللاطبقي فلن يكون لذلك علاقة بالتوحيد الذي معناه عدّ الله واحداً.

أما كيف نعدّ الله واحداً فذلك في أن نعدّ وجود جميع الموجودات ما عدا الله ليس من ذاتها، ونعبّر عن هذا فلسفياً فنقول: التوحيد في وجوب الوجود، أي وجود الله تبارك وتعالى فقط ضروري بصورة ذاتية، وأما سائر الموجودات فوجودها مكتسب منه، وهذه هي المسألة الأولى من التوحيد (التوحيد في وجوب الوجود).

المسألة الثانية منه هي أنه لا وجود لخالق سوى الله، وهي نتيجة طبيعية للمسألة السابقة، ويطلق عليها (التوحيد في الخالقية).

المسألة الثالثة هي (التوحيد في التدبير والربوبية التكوينية) أي بعد التسليم بأن المدبّر للعالم هو الله فهل يوجد غيره بحيث يكون له دخل في تدبير العالم من دون إذن الله وإرادته؟

إذا قال أحد بأن الله خلق العالم ثم ترك أمر تدبيره إلى آخرين، أو أنّ الله لا دخل له في إدارة العالم، أو أنه يتدخّل ولكن له شركاء في ذلك فإنّ هذا يعدّ شركاً في الربوبية أو في التدبير، أما الموحّد بهذا المعنى فهو يطلق على من يعتقد بأن الله غير محتاج

إلى أحد في تدبير العالم وإدارته، كما لم يكن محتاجاً إلى أحد في خلقه، وربوبيته التكوينية منحصرة به تعالى.

المسألة الأخرى هي (التوحيد في الربوبية التشريعية) أي بعد أن اعتقدنا بأن الله هو خالقنا، ووجودنا بيده، وتدبير حياتنا منه لابدّ أن نعتقد بأنه لا يحقّ لأحد غيره وضع القوانين وإصدار الأوامر لنا، وكل من يريد أن يأمر أحداً فلابدّ أن يكون ذلك بإذن الله، فشرعية أيّ قانون تتوقف على الإمضاء الإلهي، وليس لأيّ إنسان أن يضع قانوناً للناس، ولا يحق له أن يأمر أو ينهي، إنّ الوجود كله منه تعالى وهو الذي يضع القوانين، هذا هو التوحيد في الربوبية التشريعية.

وهناك مرحلة أخرىمن مراتب التوحيد وهي (التوحيد في الألوهية والمعبودية) أي ليس لدينا معبود سوى الله، وهذا أيضاً نتيجة طبيعية للمعتقدات السابقة، وهو مفاد (لا إله إلا الله) فعندما نعتقد بأن وجودنا من الله واختيار وجودنا بيده، ولا يؤثّر في العالم شيء بصورة مستقلة إلاّ هو، وحق وضع القوانين منحصر به فإنه لا يبقى حينئذٍ مجال لعبادة غيره.

ولابدّ أن نعبده هو فقط لأن العبادة في الواقع إظهار للعبودية، وجعل النفس تحت تصرف المعبود من دون شرط، وإظهار أنني ملك لك، ولا يليق هذا إلاّ إذا كان هذا مالكاً حقاً وبعبارة أخرى: التوحيد في الألوهية هو نتيجة التوحيد في الربوبية، فالإنسان يعبد من يعتقد بأنّ له سيادة عليه، وقد عرفنا معنى الربوبية التكوينية والتشريعية، والنتيجة الطبيعية لها هي أن لا يعبد أحد سواه، فمن مظاهر التوحيد أن الإنسان عملياً لا يعبد سوى الله.

فهناك أمران: أحدهما يرجع إلى القلب وهو الاعتقاد بأن الله تعالى هو اللائق للعبادة وحده، وثانيهما يعود إلى العمل وهو أن لا يعبد عملياً غير الله سبحانه، والثاني من مظاهر الأول ويسمى بـ(التوحيد في العبادة).

وأنتم تلاحظون أن الآيات تعدّ الشرك في العبادة من الذنوب، وعندما يعدّون الذنوب الكبيرة فهم يقولون أولها الشرك بالله، ويقصدون الشرك في العبادة، أي أن يقوم الإنسان بعبادة غير الله في مقام العمل حتى ولو لم يكن معتقداً بأهليته للعبادة ولكنه يقوم بهذا الأمر من أجل مصالحه، هذا هو الشرك في العبادة.

ويوجد بعد آخر من التوحيد هو التوحيد في الاستعانة، ومعناه أن لا يطلب الإنسان مساعدة من أي أحد سوى الله، فنحن عندما تعدّ الله هو المؤثر الحقيقي في الوجود، ومعنى هذا أنه لا ينالنا خير ولا يصيبنا ضرّ إلاّ بإرادته فلا معنى لأن نطلب المساعدة من أيّ أحد غيره، هوالمالك لكل شيء، وغيره محتاج إليه مثلنا، وكل مسلم يقول:

((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)).[1]

وإذا تكامل هذا الأمر لدى الإنسان فإنّه يتحول إلى صفة نفسية يُسمى في الأخلاق الإسلامية بالتوكّل على الله وهو الاعتماد عليه، وكثير من الآيات بعد الأمر بعبادة الله تأمر بالتوكّل عليه:

((وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ))[2]

ومن مظاهر التوحيد أن لا يخاف الإنسان إلاّ من الله، فلماذا نخشى أحداً غيره ما دام هو المؤثر الحقيقي في الوجود، كل من عداه لا قدرة له حتى يخشى جانبه، وكل تأثير فهو بالأصالة منه، والآخرون وسائل للتنفيذ، ولا يصل الإنسان إلى التوحيد الخالص إلاّ إذا لم يخش غير الله، ولدينا آيات كثيرة تدعو الناس إلى الخوف من الله وعدم الخوف من غيره:

((ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا)).[3]

((إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)).[4]

ومن مظاهر التوحيد أيضاً أن لا يكون لنا أمل إلاّ بالله، وهذا أيضاً من النتائج الطبيعية للاعتقاد بالربوبية التكوينية، فإذا كنا معتقدين بأن المؤثر الحقيقي في العالم هو الله فحسب فلا معنى لأن يكون أملنا متعلقاً بغيره، لأنّ ما سواه لا تأثير له بالأصالة، إذن لابدّ أن ينحصر الأمر به.

وأخيراً فإنّ من مظاهر التوحيد أيضاً التوحيد في المحبة، فكل من يعتقد أنّ الجمال والكمال كله لله بالأصالة، فهو لابد أن يعتبر المحبة متعلقة به بالأصالة أيضاً، أما محبتنا لأيّ شخص أو لأيّ شيء آخر فهي للكمال أو الجمال الكامن فيه، وكمال وجمال هذه الأشياء مستعار، لأن الكمال والجمال الذاتي لله فقط، لهذا لا ينبغي أن نحبّ شيئاً أو أحداً غيره بالأصالة، والموحد الخالص هو الذي لا يتعلق قلبه إلاّ بالله، وإذا أحبّ شخصاً آخر فذلك من خلال حبه لله ومن أجل الله، وهذا أمر طبيعي فعندما يحبّ الإنسان أحداً فإن ذلك الحب يسري إلى متعلقاته، انظر إلى نفسك إذا أحببت صديقاً فإنك ستحب كتابه وبيته وملابسه، وكذا الحب لله فهو يلزم منه الحب لما ينتسب إليه من ناحية أنه منتسب إليه.

وكذا الحب لله فهو يلزم منه الحب لما ينتسب إليه من ناحية أنه منتسب إليه، وفي النتيجة يصل الإنسان في التوحيد إلى حدّ يرى فيه عياناً أن الوجود وجميع شؤونه محتاجة إلى الله، بل لا وجود لشيء غير الاحتياج.

والآن نتساءل:

هل يجب على من يريد أن يصبح موحّداً من وجهة نظر الإسلام - ويعبد من جملة المسلمين لينال السعادة في الآخرة ويدخل الجنة - هل يجب عليه أن يظفر بجميع هذه المراتب من التوحيد أم تكفيه المرتبة الأولى منه، أم لذلك نصاب آخر يعتبر الحدّ الأدنى لقبوله ضمن المسلمين ولفوزه بالسعادة الأبدية في الآخرة؟

إذا كانت هذه الدرجة الأخيرة من التوحيد هي المطلوبة ولابدّ أن يصل إلى هذه المنزلة التي يشاهد فيها هذا الأمر بالعلم الحضوري فلن يكون لدينا إلاّ أفراد معدودون جداً على مرّ التاريخ قد ظفروا بهذه المنزلة، ولابدّ عندئذٍ من إسقاط البقية من الحساب.[5]

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

(٥) معارف القرآن للأستاذ محمد تقي المصباح: ص٥٧ - ٦٢.

خلق الإنسان في كلمات نهج البلاغة وخطبه

الحلقة الثانية



أولا: تأملات في خلق آدم (عليه السلام)

نفهم من العبارات التي تضمنتها خطبة الإمام(عليه السلام) أنّ خلق آدم(عليه السلام) قد تمّ بصورة مستقلة متكاملة على هذه الصورة التي نحن عليها اليوم دون أن يطوي مراحل النشوء والارتقاء من الكائنات الحية المتسافلة؛ الأمر الذي أكده القرآن كراراً على لسان آياته الشريفة. طبعاً كلنا نعلم بأن «القرآن الكريم» وكذلك «نهج البلاغة» ليسا من قبيل كتب العلوم الطبيعية، بل هما كتابان تكفلا بهداية الإنسان وتهذيبه بالدرجة الأساس إلى جانب الإشارة حسب المقام وما يتناسب وأبحاثه العقائدية والتربوية إلى بعض مسائل العلوم الطبيعية. امّا النظرية السائدة اليوم في الأوساط العلمية بشأن خلق الإنسان فهي نظرية «تكامل الأنواع». ويرى أنصار هذه النظرية أنّ كافة أنواع الكائنات الحية لم تكن سابقاً كما هي عليه اليوم، بل كانت موجودات بسيطة أحادية الخلية ثم تكاملت بعد أن سبحت في مياه المحيطات وغاصت في أعماق البحار لتتكامل تدريجياً فتغيرت من نوع إلى آخر من خلال تغييرها لأشكالها فانتقلت من البحار إلى الصحارى.

والإنسان هو أحد هذه الكائنات الذي قطع مسيرته التكاملية بعد أن اجتاز تلك المرحلة التي كان فيها قرداً بشكل إنسان، وعليه فقد انحدر الإنسان من تلك الكائنات المتسافلة. وبالطبع فان أنصار هذه الفرضية قد انقسموا إلى عدّة طوائف، فمنها اتباع «لامارك» و«داروين» و«الداروينية الحديثة» وطائفة «موتاسيون» (نظرية الطفرة) وما إلى ذلك من الطوائف التي تقدم كل منها أدلتها على صحة نظريتها بهذا الشأن.

ويقف مقابل هؤلاء، أتباع ثبوت الأنواع حيث يقولون بأنّ أنواع الكائنات الحية قد ظهر كل منها بصورة منفصلة منذ البداية بهذه الهيئة الحاضرة، كما أقاموا أدلتهم وبراهينهم التي تعرض بالنقد للأدلة التي اعتمدتها نظرية التطور والتكامل، ولا يسعنا الخوض في تفاصيل هذه النظرية. ونكتفي هنا بالإشارة بصورة مقتضبة للمواضيع التالية:

١ . يستفاد من القرآن الكريم وكذلك خطب نهج البلاغة مسألة ثبوت الأنواع على الأقل بالنسبة للإنسان، بينما لم ترد مثل هذه التصريحات بشأن سائر أنواع الكائنات. رغم أنّ بعض أنصار فرضية التطور والتكامل التي تشمل الإنسان بشكل عام يصرون على توجيه الآيات القرآنية وعبارات خطب نهج البلاغة بحيث تنسجم ونظرية النشوء والارتقاء، حتى ذهبوا إلى أنّ هذه الآيات والخطب أدلة على مزاعمهم. إلاّ أنّ المتتبع المحايد يذعن بأنّ هذه المزاعم تنطوي على تكلفات وحرج لا يمكن قبولها إلاّ من خلاله.

٢ . إنّ قضية التكامل والارتقاء أو ثبوت الأنواع ليست من قبيل القضايا التي يمكن إثباتها من خلال التجربة والأدلة الحسية والعقلية، وذلك لأنّ جذورها قد امتدت لملايين السنين السابقة، وعليه فان كل ما يورده أنصارها أو مخالفوها إنّما هي فرضيات وأدلتها ليست سوى أدلة ظنية، وبناءً على ماتقدم فانه يتعذر القول بنفي آيات خلقة الإنسان وعبارات نهج البلاغة وفقاً لأقوال هؤلاء.

ثانيا: تأملات التركيب المزدوج للجسم والروح

يستفاد ممّا مرّ معنا في هذه الخطبة المنسجمة والآيات القرآنية أنّ الإنسان خلق من عنصرين: العنصر المادي المركب من الماء والتراب (أبسط مواد العالم) والعنصر الآخر هو الروح الإلهية السامية، وهذا هو سر التضاد الباطني للإنسان حيث تتنازعه الدوافع التي تسوقه إلى العالم المادي وتلك التي تدفعه إلى العالم الملائكي. فهو يتصف بالخلق والطبيعة الحيوانية من جانب ويتحلى بالطبيعة الملكوتية والروحانية من جانب آخر.

ولهذا أيضاً فهو يتمتع بقوس صعودي ونزولي تكاملي غاية في العظمة بحيث زود بالملكات والاستعدادات التي تبلغ به في قوس الصعود درجة «أعلى عليين» بينما يهبط في النزول والانحطاط إلى «أسفل السافلين» وليس هناك مثل هذه الميزة في الكائنات إلا للإنسان ولا تمنح إلا للمطهرين من الأفراد فتكسبهم قيمة ومنزلة رفيعة، ولا غرو فقد تماسك وحفظ نفسه مقابل جميع عوامل الانحطاط وعناصر التسافل والانسياق نحو المادة والمادية وقد اجتاز كافة العقبات والمطبات.

ولعل الملائكة عجزت عن إدراك ذلك الأمر قبل خلق آدم فظنت التكرار في هذا الخلق دون حصول جديد، فحسبوا أنّ هذه الخلقة تحصيل حاصل من خلال تسبيحهم وتقديسهم. والمهم في الأمر هو أنّ اللّه سبحانه قد نسب الروح التي نفخها في آدم إليه سبحانه فقال: (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي). ونعرف على نحو البداهة أن ليس للّه من جسم ولا روح، وأنّه يهدف إلى بيان عظمة الأشياء التي يضيفها إلى نفسه من قبيل «بيت اللّه» و«شهر اللّه» فالهدف هو أن هذه الروح الآدمية تتمتع بآثار من صفات اللّه كالعلم والقدرة والخلاقية والابداع.

والواقع هو أنّ اللّه قد نفخ في آدم أشرف وأفضل روح، ولذلك نعت نفسه سبحانه بأحسن الخالقين فقال: (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الخالقينَ) ويالها من مصيبة أليمة ومفجعة أن يحث الإنسان الخطى نحو السقوط بحيث يتحول إلى ما يجعله أسوأ من الانعام (أُولئِكَ كَالأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ) في حين يمتلك مثل هذه الاستعدادات والقدرات والإمكانات التي تبلغ به الكمال والمقام الذي ينتظره ويؤهله لأن يتميز على كافة المخلوقات فيرتدي التاج العظيم الذي يكرمه على من سواه (وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَني آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلَى كَثيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضيلاً).

التأثير الكوني العظيم لمصيبة سيد الشهداء عليه السلام

لم تقتصر مصيبة الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه على الأنبياء والأئمة والمؤمنين من أبناء آدم عليه السلام، بل تعدى أثر مصيبته وجلل رزيته إلى سائر أجزاء الوجود، وتأثر الكون برمته، ومن يتتبع الروايات والنصوص التاريخية التي ذكرت هذا التفاعل الكوني مع مصيبة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه يجد بعد عظيم مصيبة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه وجليل رزيته أصبح هنالك تغيير كوني واضح وقد امتد هذا التغيير إلى يومنا الحاضر وسيستمر إلى يوم القيامة ليحكي للأجيال عظيم ما وقع وجليل ما ارتكب، وفيما يلي تفصيل ذلك:

أولاً: تصريح السيدة زينب ببكاء السماء دما يوم عاشوراء

إن أول من أشار وبكل صراحة إلى تفاعل السماء مع مصيبة سيد الشهداء بالبكاء عليه دماً هي السيدة زينب العقيلة بنت علي صلوات الله وسلامه عليه، فقد جهرت بهذه الحقيقة في خطبتها التي ألقتها في الكوفة بعد أن أحضرهم إلى الكوفة عدو الله عبيد الله بن زياد لعنه الله، فعن إسماعيل بن راشد، عن حذلم ابن ستير قال: (قدمت الكوفة في المحرم سنة إحدى وستين عند منصرف علي ابن الحسين عليهما السلام بالنسوة من كربلاء ومعهم الأجناد محيطون بهم وقد خرج الناس للنظر إليهم، فلما أقبل بهم على الجمال بغير وطاء جعل نساء أهل الكوفة يبكين ويندبن...قال: ورأيت زينب بنت علي عليهما السلام ولم أر خفرة قط أنطق منها كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام. قال: وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا، فارتدت الأنفاس وسكتت الأصوات فقالت: الحمد لله والصلاة على أبي رسول الله، أما بعد يا أهل الكوفة،يا أهل الختل والخذل... ويلكم أتدرون أي كبد لمحمد فريتم، وأي دم له سفكتم، وأي كريمة له أصبتم {لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ❖ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا } (سورة مريم الآية رقم ٨٩ ـ ٩٠) ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء...أفعجبتم أن قطرت السماء دماً ولعذاب الآخرة أخزى...). (راجع الأمالي للشيخ المفيد ص ٣٢١ ـ ٣٢٣، وراجع أيضاً بلاغات النساء لابن طيفور ص ٢٤).

وفي كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي أنها صلوات الله وسلامه عليها قالت: (...أفعجبتم أن تمطر السماء دماً...). (الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج٢ ص٣١).

وفي قولها صلوات الله وسلامه عليها هذا ملاحظات عدة ينبغي التنبيه عليها:

الملاحظة الأولى:

ان في قولها هذا تصريحاً واضحاً بوقوع تفاعل كوني لم يكن معهود الوقوع من قبل، وهذا التفاعل الكوني الجديد هو ما عبرت عنه صلوات الله وسلامه عليه بقولها: (أفعجبتم أن قطرت السماء دماً).

الملاحظة الثانية:

أن هذا الحدث الكوني قد استغربه الناس عامة وتعجبوا من وقوعه وحصوله،وما تعجب الناس هذا الحدث الكوني إلا لغرابته وعدم ألفته، إذ لو كان معهوداً لديهم ومعروفاً وقوعه في زمانهم أو الأزمنة القريبة عليهم لما لزم من وقوعه أي تعجب.

الملاحظة الثالثة:

عدم رد الناس عليها صلوات الله وسلامه عليه ومخالفة قولها أو محاولة تكذيبها حاشاها من كل زلل، دليل آخر على وقوع مثل هذا الحدث الكوني المهم، إذ لو كان كلامها صلوات الله وسلامه عليها غير مطابق للواقع لوجدت العشرات من أتباع ابن زياد لا يتوانون في الوقوف بوجه مقالتها وتكذيبها علانية، لمحاولة سلب شرعية أقوالها وليحولوا بينها وبين تأثيرها على الناس.

الملاحظة الرابعة:

في قولها صلوات الله وسلامه عليها: (ويلكم أتدرون أي كبد لمحمد فريتم، وأي دم له سفكتم، وأي كريمة له أصبتم «لقد جئتم شيئاً إدا، تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً» ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء...أفعجبتم أن قطرت السماء دما ولعذاب الآخرة أخزى) ثلاثة مدلولات مهمة:

ألف: أرادت الحوراء زينب صلوات الله وسلامه عليها بكلماتها هذه تبيان سبب وقوع هذه الحادثة الكونية الغريبة، فسفك هذه الأمة لدم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه هو الذي سبب هذا التغير الكوني الرهيب.

باء: أرادت صلوات الله وسلامه عليها أن تظهر منزلة دم الإمام الحسين عليه السلام وعظمته بتأكيدها على أن الدم الذي جرى في يوم عاشوراء، والكبد الذي اصطلى من العطش ومن السهام وطعنات السيوف والرماح هو دم رسول الله وكبده قبل أن يكون دم الحسين صلوات الله وسلامه عليه وكبده، لان الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه كما هو ثابت

في أحاديث جميع فرق المسلمين بضعة من رسول الله وجزء لا يتجزأ منه وكيف لا يكون كذلك وهو صلى الله عليه وآله القائل (حسين مني وأنا من حسين). (راجع كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص١١٦، ومسند أحمد بن حنبل ج٤ ص١٧٢).

جيم: إن بكاء السماء دماً يحمل في طياته معنيين فهو غضب إلهي على كل من اشترك وساهم وأعان ورضي بإراقة دم الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه وفري كبده الشريف، وهو حزن للسماء وسكانها ومن فيها على ما ارتكب في حق ولي الله الأعظم من الجرائم والجرائر التي يندى لها جبين الأحرار.

ثانيا: التأثير الكوني لمصيبة الحسين صلوات الله وسلامه عليه في كتب الإمامية

منها ما عن الشيخ الطوسي في أماليه قال: (حدثني بذلك محمد بن علي ماجيلويه رحمه الله، عن عمه محمد بن أبي القاسم، عن محمد بن علي الكوفي، عن نصر بن مزاحم، عن لوط بن يحيى، عن الحارث ابن كعب، عن فاطمة بنت علي صلوات الله عليهما: ثم إن يزيد لعنه الله أمر بنساء الحسين عليه السلام فحبسن مع علي بن الحسين عليهما السلام في محبس لا يكنهم من حر ولا قر حتى تقشرت وجوههم، ولم يرفع ببيت المقدس حجر عن وجه الأرض إلا وجد تحته دم عبيط، وأبصر الناس الشمس على الحيطان حمراء كأنها الملاحف المعصفرة، إلى أن خرج علي بن الحسين عليهما السلام بالنسوة، ورد رأس الحسين عليه السلام إلى كربلاء). (راجع الأمالي للشيخ الصدوق ص ٢٣١ ـ ٢٣٢).

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر صلوات الله وسلامه عليه قال: (بكت الإنس والجن والطير والوحش على الحسين بن علي عليهما السلام حتى ذرفت دموعها). (راجع كامل الزيارات لجعفر بن محمد ابن قولويه ص ١٦٥ الباب ٢٦ بكاء جميع ما خلق الله على الحسين بن علي عليهما السلام الحديث رقم ١).

وعن يونس وأبي سلمة السراج والمفضل ابن عمر قالوا: (سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: لما مضى الحسين بن علي عليهما السلام بكى عليه جميع ما خلق الله إلا ثلاثة أشياء: البصرة ودمشق وآل عثمان). (راجع المصدر السابق ص١٦٦ الحديث رقم ٦).

منها ما روي عن الإمام السجاد صلوات الله وسلامه عليه حين رجوعه إلى المدينة بعد رحلة السبي حينما اجتمع له الناس فخطبهم صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها، والسماوات بأركانها، والأرض بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان ولجج البحار والملائكة المقربون وأهل السماوات أجمعون...). (راجع مثير الأحزان لابن نما الحلي ص٩١ المقصد الثالث من الأمور اللاحقة لقتله وشرح سبي ذريته وأهله).

وعن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: (إن أبا عبد الله عليه السلام لما مضى بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ومن يتقلب في الجنة والنار من خلق ربنا وما يرى وما لا يرى). (كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ص١٦٦ الباب ٢٦ بكاء جميع من خلق الله على الحسين ابن علي عليهما السلام).

ثالثاً: التأثير الكوني لمصيبة الحسين عليه السلام في كتب أهل السنة

قال عبد الكريم الرافعي: (اشتهر أن قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما كان يوم عاشوراء وروى البيهقي عن أبي قبيل أنه لما قتل الحسين رضي الله عنه كسفت الشمس كسفة بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا أنها هي ـ أي ظننا أنها القيامة ـ). (راجع فتح العزيز لعبد الكريم الرافعي ج ٥ ص ٨٣ ـ ٨٤).

وقال محيي الدين النووي في روضة الطالبين: (فقد صح أن الشمس كسفت يوم مات إبراهيم ابن رسول الله.، وروى الزبير بن بكار في الأنساب: أنه توفي في العاشر من شهر ربيع الأول. وروى البيهقي مثله عن الواقدي. وكذا اشتهر أن قتل الحسين رضي الله عنه كان يوم عاشوراء. وروى البيهقي عن أبي قبيل أنه لما قتل الحسين، كسفت الشمس). (روضة الطالبين لمحيى الدين النووي ج ١ ص ٥٩٨).

وقال محمد بن احمد الشربيني: (وقد صح أن الشمس كسفت يوم مات سيدنا إبراهيم ابن النبي.، وفي أنساب الزبير بن بكار أنه مات عاشر ربيع الأول، وروى البيهقي مثله عن الواقدي. وكذا اشتهر أنها كسفت يوم قتل الحسين، وأنه قتل يوم عاشوراء). (مغني المحتاج لمحمد بن أحمد الشربيني ج ١ ص ٣٢٠).

وقال الدسوقي: (أن الرافعي نقل أن الشمس كسفت يوم مات الحسين وكان يوم عاشوراء، وورد أنها كسفت يوم مات إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وكان موته في العاشر من الشهر عند الأكثر). (حاشية الدسوقي للدسوقي ج ١ ص ٤٠٤ ـ ٤٠٥).

وقال البيهقي: (وأخبرنا أبو الحسين ابن الفضل القطان أنبأ عبد الله بن جعفر ثنا يعقوب بن سفيان حدثني أبو الأسود النضر بن عبد الجبار أنبأ ابن لهيعة عن أبي قبيل قال لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما كسفت الشمس كسفة بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا أنها هي). (السنن الكبرى للبيهقي ج ٣ ص ٣٣٧).

وعن الهيثمي في مجمع الزوائد قال: (وعن أبي قبيل قال لما قتل الحسين بن علي انكسفت الشمس كسفة حتى بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا انها هي. رواه الطبراني وإسناده حسن). (مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ١٩٧).

قال السيوطي في «تاريخ الخلفاء»: «ولما قتل الحسين مكثت الدنيا سبعة أيام والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة، والكواكب يضرب بعضها بعضاً، وكان قتله يوم عاشوراء، وكسفت الشمس ذلك اليوم واحمرّت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله، ثم لا زالت الحمرة ترى فيها بعد ذلك ولم تكن ترى فيها قبله. وقيل: إنه لم يقلب حجر بيت المقدس يومئذ إلاّ وجد تحته دم عبيط، وصار الورس الذي في عسكرهم رماداً، ونحروا ناقة في عسكرهم فكانوا يرون في لحمها مثل النيران، وطبخوها فصارت مثل العلقم، وتكلّم رجل في الحسين بكلمة، فرماه الله بكوكبين من السماء فطمس بصره). (راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٦٠، ترجمة يزيد ابن معاوية، دار الكتاب العربي).

وقد علق الهيثمي على الحديث السابق بقوله: (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح). (راجع مجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص١٩٦ باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام).

وأخرج الطبراني بسنده إلى ابن شهاب الزهري قال: (ما رفع بالشام حجر يوم قتل الحسين بن علي إلا عن دم، رضي

اللّٰه عنه). (راجع المعجم الكبير للطبراني ج٣ ص١١٣ ذكر مولده وصفته).

قال الهيثمي: (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح). (راجع مجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص١٩٦ باب مناقب الحسين ابن علي عليهما السلام).

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (وعن الزهري قال: قال لي عبد الملك أي واحد أنت إن أعلمتني أي علامة كانت يوم قتل الحسين فقال قلت: لم ترفع حصاة ببيت المقدس إلا وجد تحتها دم عبيط فقال لي عبد الملك إني وإياك في هذا الحديث لقرينان. رواه الطبراني ورجاله ثقات). (مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ١٩٦).

وعن ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق عن علي بن محمد عن علي بن مدرك عن جده الأسود بن قيس قال: (احمرت آفاق السماء بعد قتل الحسين ستة أشهر يرى ذلك في آفاق السماء كأنها الدم قال فحدثت بذلك شريكا فقال لي ما أنت من الأسود قلت هو جدي أبو أمي قال أما واللّٰه إن كان لصدوق الحديث عظيم الأمانة مكرما للضيف). (راجع تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ١٤ ص ٢٢٧).

وقال الزرندي الحنفي: (ونقل الإمام أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب التبصرة عن ابن سيرين قال: لما قتل الحسين أظلمت الدنيا ثلاثة أيام ثم ظهرت هذه الحمرة في السماء. وقال أبو سعيد ما رفع حجر في الدنيا لما قتل الحسين إلا وتحته دم عبيط، ولقد مطرت السماء دماً بقي أثره في الثياب مدة حتى تقطعت. وقال سليم القاضي لما قتل الحسين مطرنا دما. وقال السدي: لما قتل الحسين بكت السماء وبكاؤها حمرتها. قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي: كان الغضبان يحمر وجهه عند الغضب فيستدل على غضبه وهو إمارة الشخص، الحق سبحانه وتعالى ليس بجسم فأظهر تأثير عظمته على من قتل الحسين بحمرة الأفق وذلك دليل على عظيم الجناية. وقال أيضا: لما أسر العباس يوم بدر سمع النبي أنينه فما نام تلك الليلة، وكيف لو سمع أنين الحسين. وقال: لما أسلم وحشي قاتل حمزة قال له النبي: غيب وجهك عني فاني لا أحب من قتل الأحبة، قال: وهذا والإسلام يجب ما قبله فكيف يقدر الرسول أن يرى من ذبح الحسين، أو أمر بقتله وحمل أهله على أقتاب الجمال). (راجع نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص ٢٢١ - ٢٢٣).

رابعاً: ماذا يقول ابن كثير وابن تيمية بخصوص ما ذكرناه آنفاً

لقد أعمت العصبية بصيرة ابن كثير الدمشقي الأموي، وابن تيمية الحراني فكذبا جميع ما تم تصحيحه من قبل علماء العامة قبل الخاصة، ولكنهم ولله الحمد لم يقدموا دليلا واحدا على رفضهم واستنكارهم لبكاء السماء دما وغيرها من الحوادث الأليمة المفجعة واكتفوا بكلمات التشنيع والقدح والذم للشيعة ولمن يقول بقولهم، وهو دليل على ضعف حجتهم ومستوى أخلاقهم ومكانتهم العلمية والفكرية، لان العالم يواجه الحجة بالحجة والجاهل المتعصب يرد الحجة بالنباح والصياح والسب والشتم، وهذا هو ما صدر من ابن كثير وابن تيمية، ومن أراد التأكد من ذلك فلينظر إلى قول ابن كثير حيث يقول: (... إن يحيى بن زكريا عليه الصلاة والسلام لما قتل احمرت السماء وقطرت دما وإن الحسين بن علي رضي اللّٰه عنهما لما قتل احمرت السماء. وحدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو غسان محمد ابن عمر وزنيج حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد قال لما قتل الحسين بن علي رضي اللّٰه عنهما احمرت آفاق السماء أربعة أشهر قال يزيد واحمرارها بكاؤها وهكذا قال السدي في الكبير وقال عطاء الخراساني بكاؤها أن تحمر أطرافها وذكروا أيضا في مقتل الحسين رضي اللّٰه عنه أنه ما قلب حجر يومئذ إلا وجد تحته دم عبيط وأنه كسفت الشمس واحمر الأفق وسقطت حجارة، وفي كل من ذلك نظر والظاهر أنه من سخف الشيعة وكذبهم ليعظموا الأمر ولا شك أنه عظيم ولكن لم يقع هذا الذي اختلقوه وكذبوه). (راجع تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٥٣ - ١٥٤).

وقال في موضع آخر: (وقد ذكروا في مقتله أشياء كثيرة أنها وقعت من كسوف الشمس يومئذ، وهو ضعيف، وتغيير آفاق السماء، ولم ينقلب حجر إلا وجد تحته دم، ومنهم من خصص ذلك بحجارة بيت المقدس، وأن الورس استحال رمادا، وأن اللحم صار مثل العلقم وكان فيه النار، إلى غير ذلك مما في بعضها نكارة، وفي بعضها احتمال). (البداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ٢٥٨ - ٢٥٩).

وقال في موضع ثالث: (وقد ذكر الطبراني ههنا آثارا غريبة جدا، ولقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء، فوضعوا أحاديث كثيرة كذبا فاحشا، من كون الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم وما رفع يومئذ حجر إلا وجد تحته دم، وأن أرجاء السماء احمرت، وأن الشمس كانت تطلع وشعاعها كأنه الدم، وصارت السماء كأنها علقة، وأن الكواكب ضرب بعضها بعضا، وأمطرت السماء دما أحمر، وأن الحمرة لم تكن في السماء قبل يومئذ، ونحو ذلك. وروى ابن لهيعة: عن أبي قبيل المعافري: أن الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم وقت الظهر، وأن رأس الحسين لما دخلوا به قصر الإمارة جعلت الحيطان تسيل دما، وأن الأرض أظلمت ثلاثة أيام، ولم يمس زعفران ولا ورس بما كان معه يومئذ إلا احترق من مسه، ولم يرفع حجر من حجارة بيت المقدس إلا ظهر تحته دم عبيط، وأن الإبل التي غنموها من إبل الحسين حين طبخوها صار لحمها مثل العلقم. إلى غير ذلك من الأكاذيب والأحاديث الموضوعة التي لا يصح منها شيء). (البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٢١٩).

وقال ابن تيمية: (إن كثيرا مما روي في ذلك كذب، مثل كون السماء أمطرت دما، ومثل كون الحمرة ظهرت في السماء يوم قتل الحسين، وكذلك قول القائل: ما رفع حجر في الدنيا إلا وجد تحته دم عبيط هو أيضا كذب بين). (منهاج السنة النبوية ج٤ ص٥٦٠).

أقول: بل الكذب البين هو تكذيب ابن كثير وابن تيمية لتلك النصوص الصحيحة، وما مر من تصحيح علماء السنة لتلك النصوص المثبتة لوقوع البكاء من السماء على مصيبة سيد الشهداء وغيرها من الانفعالات الكونية حجة عليهما، ومن عرف منهج وأسلوب وحقد كل من ابن كثير وابن تيمية لا يستغرب عليهما إنكارهما لمثل هذه الحقائق الواضحة الناصعة، فالحديث الكذب بالنسبة لهما كل ما تقول به الشيعة الإمامية أو يؤيد أفكارهم ومتبنياتهم، حتى لو كان ذلك الحديث بحسب الموازين الرجالية صحيحا ورجاله ثقات، وأما الحديث الصحيح برأيهما فهو كل حديث يقدح بالشيعة ويؤدي إلى مس كرامتهم وعقائدهم حتى وإن كان هذا الحديث ساقطاً بلحاظ المعيار السندي والرجالي.

---

(١) شرح زيارة عاشوراء للشيخ وسام البلداوي.



معركة النفس

مـن الواضـح أن الوسـواس أثـر الشـيطان الخنـاس، والإلهـام عمـل الملائكـة الكـرام، ولا ريـب في أن كل نفـس في بـدو فطرتهـا قابلة لأثـر كل منهما على التسـاوي، وإنمـا يترجح أحدهمـا بمتابعة الهـوى وملازمة الورع والتقـوى، فإذا مالت النفـس إلى مقتضى شـهوة أو غضب وجد الشـيطان مجـالاً فيدخل بالوسوسـة، وإذا انصرفت على ذكر الله ضاق مجاله وارتحل فيدخل الملك بالإلهام.

فـلا يـزال التطارد بين جنـدي الملائكة والشـياطين في معركـة النفـس، لهيولانيـة وجودها وقابليتها للأمرين بتوسـط قوتيها العقليـة والوهميـة، إلى أن يغلـب أحـد الجنديين ويسـخر مملكة النفس ويستوطن فيهـا، وحينئـذٍ يكـون اجتيـاز الثانـي على سـبيل الاختلاس، وحصـول الغلبة إنما هو بغلبـة الهـوى أو التقـوى فـإن غلـب عليها الهوى وخاضت فيه صارت مرعى الشيطان ومرتعـه وكانت من حزبـه، وإن غلب عليها الورع والتقوى صارت مستقر الملك ومهبطه ودخلت في جنده، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«خلـق الله الإنس ثلاثة أصناف: صنف كالبهائم، قال الله تعالى:

((وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ))[1]

وصنـف أجسـادهم أجسـاد بنـي آدم وأرواحهـم أرواح الشـياطين، وصنـف كالملائكة في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله».

ولا ريـب في أن أكثر القلـوب قد فتحها جنـود الشـياطين وملكوهـا، ويتصرفـون فيها بضروب الوسـاوس الداعية إلى إيثار العاجلة واطراح الآجلة.

والسـر فيه: إن سلطنة الشيطان سارية في لحـم الإنسـان ودمـه ومحيطـة بمجامع قلبـه وبدنـه، كمـا أن الشـهوات ممتزجـة بجميع ذلك، ومن هنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن الشيطان ليجري من بني آدم مجرى الدم».[2]

وقـال الله سـبحانه ـ حكاية عن لسـان اللعين ـ:

((قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ)).[3]

فالخـلاص من أيدي الشـياطين يحتاج إلى مجاهـدة عظيمة ورياضة شـاقة، فمن لم يقم في مقام المجاهدة كانت نفسه هدفاً لسهام وساوسهم وداخلة في أحزابهم.

تسويلات الشيطان ووساوسه

لـما كانت طـرق الباطـل كثـيرة وطريق الحق واحدة، فالأبواب المفتوحة للشـيطان إلى القلب كثيرة، وباب الملائكة واحد، ولذا روي أن النـبي صلـى الله عليه وآله وسـلم خط يوماً لأصحابه خطاً وقال:

«هذا سبيل الله».

ثـم خـط خطوطـا عـن يمينـه وشماله فقال:

«هذه سـبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه».

ثم تلا قوله تعالى:

((وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)).[4]

ثـم لسـهولة ميـل النفـس إلى الباطـل وعسـر انقيادها للحق تكـون الطرق المؤدية إلى الباطل التي هي أبواب الشيطان جليلة ظاهـرة، فكانت أبـواب الشـيطان مفتوحة أبـداً، والطـرق المؤديـة إلى الحق التي هي باب الملائكة خفية.

فكان باب الملائكة مسـدوداً دائماً، فما أصعـب بالمسـكين ابـن آدم أن يسـد هـذه الأبـواب الكثـيرة الظاهـرة المفتوحة ويفتح باباً واحـداً خفياً مسـدوداً، على أن اللعين ربما يلبس بين طريق الحق والباطل ويعرض الشـر في موضع الخير، بحيث يظن أنه لمة الملك وإلهامه، لا وسوسة الشيطان وإغواؤه، فيهلك ويضل من حيث لا يعلم، كما يلقي في قلب العالم أن الناس لكثرة غفلتهم أشرفوا علـى الهـلاك، وهم من الجهـل موتى، ومن الغفلة هلكى، أما لك رحمة على عباد الله، أما تريد الثواب والسعادة في العقبى؟

فمـا بـك لا تنبههـم عن رقـدة الغفلات بوعظـك، ولا تنقذهـم من الهـلاك الأبدي بنصحـك؟ وقد مـنّ الله عليك بقلب بصير وعلم كثير ولسان ذلق ولهجة مقبولة! فكيف تخفي نعم الله تعالى ولا تظهرها؟ فلا يزال يوسوسه بأمثال ذلك ويثبتها في لوح نفسه، علـى أن يسـخره بلطائـف الحيل ويشـتغل بالوعـظ، فيدعـوه إلى التزيـن والتصنـع والتحسـن بتحسـين اللفظ، والسرور بتملق الجماعة، والفرح بمدحهم إياه، والانبساط بتواضعهـم لديه، وانكسـارهم بين يديه، لا يـزال في ثناء الوعظ يقرر في قلبه شـوائب الريـاء وقبـول العامـة، ولـذة الجـاه وحب الرياسـة، والتعـزز بالعلـم والفصاحـة، والنظـر إلى الخلـق بعين الحقـارة، فيهدي النـاس ويضـل نفسـه ويعمر يومـه ويخرب أمسـه، ويخالف الله ويظـن أنه في طاعته، ويعصيه ويحسب أنه في عبادته، فيدخل في جملة من قال الله فيهم:

((قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)).[5]

ويكـون ممن قال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم:

«إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم»، و«إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر».(٦)

فلا نجاة من مصائد الشيطان ومكائده إلا ببصيرة باطنة نورانية وقوة قدسية ربانية، كما لا نجاة للمسافر الحيران في بادية كثيرة الطرق غامضة المسلك في ليلة مظلمة إلا بعين بصيرة صحيحة وطلوع شمس مشرقة نيرة.

العلائم الفارقة بين الإلهام والوسوسة

من تمكن من معرفة الخير والشر سهل عليه التفرقة بين الإلهام والوسوسة وقد قيل إلهام الملك ووسوسة الشيطان يقع في النفوس على وجوه وعلامات.

(أحدها) كالعلم واليقين الحاصلين من جانب يمين النفس وتقابله الشهوة والهوى الحاصلان من جانب شمالها.

(وثانيها) كالنظر إلى آيات الآفاق والأنفس على سبيل النظام والأحكام المزيل للشكوك والأوهام، والمحصل للمعرفة والحكمة في القوة العاقلة هي الجانب الأيمن من النفس يقابله النظر إليها على سبيل الاشتباه والغفلة والإعراض عنها، الناشئة منها الشبه والوساوس في الواهمة والمتخيلة التي على الجانب الأيسر منها، فإن الآيات المحكمات بمنزلة الملائكة المقدسة من العقول والنفوس الكلية، لأنها بادئ العلوم اليقينية، والمتشابهات الوهميات بمنزلة الشياطين والنفوس الوهمانية، لأنها مبادئ المقدمات السفسطية.

(وثالثها) كطاعة الرسول المختار والأئمة الأطهار في مقابلة أهل الجحود والإنكار وأرباب التعطيل والتشبيه من الكفار، فكل من سلك سبيل الهداية فهو بمنزلة الملائكة المقدسين الملهمين للخير، ومن سلك سبيل الضلال فهو بمنزلة الشياطين المغوين بالشرور.

(ورابعها) كتحصيل العلوم والإدراكات التي هي في الموضوعات العالية والأعيان الشريفة كالعلم بالله وملائكته ورسله، واليوم الآخر، والبعث، وقيام الساعة، ومثول الخلائق بين يدي الله تعالى، وحضور الملائكة والنبيين والشهداء والصالحين، في مقابلة تحصيل العلوم والإدراكات التي هي من باب الحيل والخديعة والسفسطة، والتأمل في أمور الدنيا ا لغير الخارجة عن دار المحسوسات، فإن الأول يشبه الملائكة الروحانية وجنود الرحمن الذين هم سكان عالم الملكوت السماويين والثاني يشبه الأبالسة المطرودة عن باب الله، الممنوعة من ولوج السماوات، المحبوسة في الظلمات، المحرومة في الدنيا عن الارتقاء، والمحجوبة في الآخرة عن دار النعيم.

علاج الوساوس

الوساوس إن كانت بواعث الشرور والمعاصي، فالعلاج في دفعها أن يتذكر سوء عاقبة العصيان ووخامة خاتمته في الدنيا والآخرة، ويتذكر عظيم حق الله وجسيم ثوابه وعقابه، ويتذكر أن الصبر عما تدعو إليه هذه الوساوس أسهل من الصبر على نار لو قذف شرارة منها إلى الأرض أحرقت نبتها وجمادها فإذاتذكر هذه الأمور وعرف حقيقتها بنور المعرفة والإيمان، حبس عنه الشيطان وقطع عنه وساوسه، إذ لا يمكن أن ينكر عليه هذه الأمور الحقة، إذ يقينه الحاصل من قواطع البرهان يمنعه عن ذلك ويخيبه، بحيث يرجع هارباً خائباً، فإن التهاب نيران البراهين بمنزلة رجوم الشياطين، فإذا قوبلت بها وساوسهم فرت فرار الحمر من الأسد.

وإن كانت مختلجة بالبال بلا إرادة واختيار، من دون أن تكون مبادئ الأفعال، فقطعها بالكلية في غاية الصعوبة والإشكال، وقد اعترف أطباء النفوس بأنها الداء العضال ويتعسر دفعه بالمرة، وربما قيل بتعذره، ولكن الحق إمكانه، لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«من صلى ركعتين لم تتحدث نفسه فيهما بشيء غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

ولولا إمكانه لم يتصور ذلك.

والسر في صعوبة قطعها بالكلية أن للشيطان جندين: جنداً يطير وجنداً يسير، والواهمة جنده الطيار، والشهوة جنده السيار، لأن غالب ما خلقتا منه هي النار التي خلق منها الشيطان، فالمناسبة اقتضت تسلطه عليهما وتبعيتهما له.

ثم لما كانت النار بذاتها مقتضية للحركة، إذ لا تتصور نار مشتعلة لا تتحرك، بل لا تزال تتحرك بطبعها، فشأن كل من الشيطان والقوتين أن يتحرك ولا يسكن، إلا أن الشيطان لما خلق من النار الصرفة من دون امتزاج شيء آخر بها فهو دائم الحركة والتحريك للقوتين بالوسوسة والهيجان، والقوتان لما امتزج بغالب مادتهما - أعني النار - شيء من الطين لم تكونا بمثابة ما خلق من صرف النار في الحركة، إلا أنهما استعدتا لقبول الحركة منه، فلا يزال الشيطان ينفخ فيهما ويحركهما بالوسوسة والهيجان ويطير ويجول فيهما ثم الشهوة لكون النارية فيها أقل فسكونها ممكن، فيحتمل أن يكف تسلط الشيطان عن الإنسان فيها، فيسكن بالكلية عن الهيجان.

وأما الواهمة فلا يمكن أن يقطع تسلطه عنها، فيمتنع قطع وساوسه عن الإنسان، إذ لو أمكن قطعه أيضاً بالمرة، لصار اللعين منقاداً للإنسان مسخراً له، وانقياده له هو سجوده له، إذ روح السجود وحقيقته هو الانقياد والاطاعة، ووضع الجبهة حالته وعلامته، وكيف يتصور أن يسجد الملعون لأولاد آدم عليه السلام مع عدم سجوده لأبيهم واستكباره من أن يطمئن عن حركته ساجداً له معللاً بقوله:

((قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ)).(٧)

فلا يمكن أن يتواضع لهم بالكف عن الوسوسة بل هو من المنظرين لاغوائهم إلى يوم الدين فلا يتخلص منه أحد إلا من أصبح وهمومه هم واحد فيكون قلبه مشتغلاً بالله وحده، فلا يجد الملعون مجالاً فيه، ومثله من المخلصين الداخلين في الاستثناء عن سلطنة هذا اللعين، فلا تظن أنه يخلو عنه قلب فارغ، بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرى الدم، وسيلانه مثل الهواء في القدح، فإنك إن أردت أن تخلي القدح عن الهواء من غير أن تشغله بمثل الماء فقد طمعت في غير مطمع، بل بقدر ما يدخل فيه الماء يخلو عن الهواء، فكذلك القلب إذا كان مشغولاً بفكر مهم في الدين يمكن أن يخلو من جولان هذا اللعين، وأما لو غفل عن الله ولو في لحظة، فليس له في تلك اللحظة قرين إلا الشيطان، كما قال سبحانه وتعالى:

((وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)).(٨)

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن الله يبغض الشاب الفارغ»، لأن الشاب إذا تعطل عن عمل مباح يشغل باطنه لابد أن يدخل في قلبه الشيطان ويعيش فيه ويبيض ويفرخ، وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالداً أسرع من توالد الحيوانات، لأن الشيطان طبعه من النار، والشهوة في نفس الشاب كالحلفاء اليابسة، فإذا وجدها كثر تولده وتولدت النار من النار ولم تنقطع أصلاً.(٩)

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.
(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٦٠، ص٣٣١.
(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ١٦ و ١٧.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.
(٥) سورة الكهف، الآية: ١٠٣.
(٦) ميزان الحكمة للريشهري: ج٢، ص٩٥٦.
(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٢.
(٨) سورة الزخرف، الآية: ٣٦.
(٩) جامع السعادات للمولى النراقي: ج١، ص١١٢ - ١١٥.



شروط الإمام الخاصة وصفاته

الحلقة الثانية

إذا لاحظنا مسألة التصدي الحقيقي لمهام الأمة والرسالة، نرى أنها تتجسد في أئمة أهل البيت عليهم السلام، فهم تحملوا أعباء الرسالة الفكرية والثقافية والتنفيذية وهم حماة القرآن وحفظة سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إضافة إلى إدارتهم للمجتمع الإدارة الفعلية لحل مشاكلهم وتوجيههم روحيا ونفسياً.

قال الإمام علي عليه السلام:

«انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى فإن لبدوا فالبدوا وإن نهضوا فانهضوا. . . ».

وقال كذلك: «إن أولى الناس بأمر هذه الأمة قديماً وحديثا أقربها من الرسول وأعلمها بالكتاب وأفقهها في الدين أولها إسلاماً وأفضلها جهاداً وأشدها بما تحمله الأئمة من أمر الأمة اضطلاعاً..»[1].

فالخلافة السياسية وإن احتل عرشها الحكام ولكن القيادة الإسلامية أي الخلافة الحقيقية كانت متجسدة في أشخاص الأئمة لذلك كانوا يحلون الأزمات الفكرية والثقافية والفلسفية مما يعجز عن حلها الحكام المتسلطون باسم الإسلام.

لا لاختيار الناس

منصب الأئمة من أهل البيت تعيين إلهي مباشر بعيداً عن اختيار الناس فقد قال سبحانه وتعالى:

((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا))[2].

فلا بد من الانصياع التام والتسليم المطلق لقضاء الله وقضاء رسوله لأن قضاء الرسول قضاء الله تعالى:

((وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ))[3].

فليس للمؤمن أن يختار لنفسه أمراً وفي هذا الأمر قضاء إلهي محتوم فالخلافة منصب إلهي مقرر من قبل الله تعالى حيث اصطفى لهذا المنصب من يرى فيه الأهلية والقدرة على تحمل مسؤوليتها وأمام هذا التشريع لا نخير أنفسنا في اتباع هذا الخليفة باجتهاد أو استحسان بل لا اجتهاد ولا استحسان أمام النص المقدس وقد علمنا قصور عقولنا في الأبحاث السابقة عن كثير من الأمور وقدراتنا محدودة في تشريعات كهذه ولا نحتاج إلى الاستدلال على ذلك لو شاهدنا الانتخابات في العالم كيف يجمع الأكثرية على اختيار رئيس لهم وبعد فترة يعضون أصابع الندم على عدم معرفتهم بنفسية هذا المنتخب المتسلط عليهم.

وعلى هذا جاء اللطف الإلهي ليشملنا بعنايته ويحسم هذا الأمر بالتعيين قال تعالى:

((وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا))[4].

النبي إبراهيم الخليل. قال. إبراهيم عليه السلام.:

((قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ))

فكان لإبراهيم الخليل طموح في أن يتقلد من ذريته هذا المنصب الإلهي المقرر ولكن التشريع الرباني نسف إمامة الظالمين وإن كانوا من ذرية إبراهيم.

وفي آية أخرى:

((يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ))[5]

وهكذا فمسألة الخلافة هي اختيار إلهي وليس للمؤمنين أن يتدخلوا في هذا الاختيار بل عليهم التسليم والإطاعة فالله وحده:

((اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ))[6].

فأئمة المسلمين قد نص الله سبحانه ورسوله على إمامتهم ففي الآيات الكريمة الماضية إشارة إلى الولاية وفي أحاديث كثيرة وردت في هذا الصدد حصرت الخلافة والإمامة في بني هاشم في قريش قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»[7].

وقال العلامة الحلي في (شرح التجريد): (إن المراد بالـ(١٢) هم أئمة الشيعة حيث ثبت بالتواتر أن النبي قال للحسين عليه السلام: «ابني هذا إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة تاسعهم قائمهم»، وروى المحب الطبري الشافعي في كتاب (ذخائر العقبى) أن النبي قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ واحدٌ لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلا من ولدي اسمه كاسمي»، فقال سلمان: من أي ولدك يا رسول الله؟ قال: «من ولدي هذا» ـ وضرب بيده على الحسين[8].

أما لو ترك الخيار للناس فسنحصد التفرقة لعدم اجتماعهم على قائد واحد ـ عادة ـ فتدخل المحسوبيات والمنسوبيات كقضية طبيعية في الأمر وبعد ذلك من هو الضامن لاستقامة هذا القائد واستمراره على الاستقامة بعد انتخابه؟ وكيف يمكنه أن يقنع الجميع برأيه وموقفه؟ وحتى في قناعاته التي يراها صحيحة من يلزم الناس على قبولها في حالة عدم قناعتهم بتلك القرارات وهكذا مجموعة من

العقبات التي تحول دون الارتباط القلبي بهذا المنتخب كما هو الحال في القيادات المنتخبة في العالم السياسي اليوم.

عن سعد بن عبد الله القمي عن الحجة القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف قلت فأخبرني يا مولاي عن العلة التي تمنع القوم من اختيار الإمام لأنفسهم؟

قال: «مصلح أو مفسد؟»، قلت؟ مصلح قال: «فهل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد؟»، قلت بلى قال: «فهي العلة وأوردها لك ببرهان ينقاد له عقلك».

ثم قال: أخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله عز وجل وأنزل عليهم الكتب وأيدهم بالوحي والعصمة وهم أعلام الأمم أهدى إلى الاختيار منهم مثل موسى وعيسى عليهم السلام هل يجوز مع وفور عقلهما وكمال علمهما إذ هما بالاختيار أن تقع خيرتهما على المنافق وهما يظنان أنه مؤمن»، قلت: لا.

قال: هذا موسى كليم الله مع وفور عقله وكمال علمه ونزول الوحي عليه اختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربه عز وجل سبعين رجلا ممن لا يشك في إيمانهم وإخلاصهم فوقع خيرته على المنافقين قال الله عز وجل:

((وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا)).(٩)

فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله عز وجل للنبوة واقعاً على الأفسد دون الأصلح وهو يظن أنه الأصلح دون الأفسد علمنا أن الاختيار لا يجوز إلا لمن يعلم ما تخفي الصدور... .

فإذن لا يمكن أن ندع هذه المسألة المصيرية للاختيار وليس المجتمع حقل تجارب يعيث فيه من يشاء من الناس فساداً وانحرافاً أو عدلاً حسب ما يراه لا حسب ما يراه الإسلام فلذلك جعلها الله سبحانه في أهل بيت نبيه الكريم وهم الأئمة الاثنا عشر.

قال الإمام علي(عليه السلام): «أنظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا إثرهم فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى فإن لبدوا فالبدوا وإن نهضوا فانهضوا..».

وقال (عليه السلام): «ألا إن مثل آل محمد صلى الله عليه وآله كمثل نجوم السماء إذا حوى نجم طلع نجم فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع وأراكم ما كنتم تأملون..».

وقال (عليه السلام) أيضاً: «نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم وينابيع الحكمة...».

وقال(عليه السلام) أيضاً: «تالله لقد علّمت تبليغ الرسالات وإتمام العدات وتمام الكلمات وعندنا - أهل البيت - أبواب الحكم وضياء الأمر..»(١٠)

وأحاديث وروايات كثيرة في هذا المجال.. المهم عرفنا أن الأئمة هم خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله بدليل القرآن والسنة الشريفة ففي القرآن آيات مباركة قاطعة بذلك وقد مرت معنا بعضها وفي الكتب المختصة بهذا الجانب يكثر فيها الاستشهاد القطعي أما السنة الشريفة فمليئة بالأقوال القطعية أيضاً ولا يخفى علينا دور السنة المباركة في توضيح مجمل القرآن الكريم وتبيان أسباب النزول.. فقد بينت ذلك بشكل أوسع ومهما كانت اليد الأثيمة ماكرة في تأليف وتحريف بعض الأحاديث والروايات فإنها ما استطاعت أن تتلاعب في هذا البيان الواضح حول خلافة الرسول صلى الله عليه وآله كمسألة مصيرية كما كان يحلو لها ذلك بشتى الأساليب والطرق فقد سلمت الأحاديث التي تنص بالخلافة وبأمره تعالى تعييناً دون تدخل الناس في اختيارهم.

العصمة من الخطأ والإثم

الإمام، كالنبي، يجب أن يكون معصوماً، أي أن يكون مصوناً من كل (خطأ) و(إثم)، وإلاّ ما كان قادراً على أن يكون قائداً ونموذجاً وقدوة وأسوة للناس يعتمدونه ويتبعونه.

لابد للإمام من أن يستحوذ على قلوب الناس، فيتأمرون بأمره دون اعتراض.

فمن كان ملوثاً بالإثم لا يمكن أبداً أن يبلغ هذا المبلغ في القلوب ولا يكون موضع ثقة الناس واطمئنانهم.

ومن كان في أعماله اليومية عرضة للأخطاء والهفوات كيف يمكن أن يوثق به في إدارة أعمال المجتمع ويطمأن إلى آرائه وتنفيذها بدون أي اعتراض؟

إذن، لا شك في أن النبي يجب أن يكون معصوماً، وهذا الشرط لازم في الإمام أيضاً، كما ذكرنا.

هذه المقولة يمكن إثباتها من طريق آخر أيضاً، وهي طريقة (قاعدة اللطف) نفسها التي يستند إليها لزوم وجود النبي والإمام، وذلك لأن الهدف من وجود النبي والإمام لا يتحقق بدون هذه العصمة فيهما، وما ذكرناه في الدرس السابق عن فلسفة وجودهما يظل ناقصاً.(١١)

فالعصمة عبارة عن القدرة العقلية المتسلطة على جوانب الشهوات النفسية في الإنسان فهي قوة متحكمة وملكة خاصة تمنع من الوقوع في المعاصي والانحراف مع إمكان حدوث المعصية والخطأ على صاحبها.

وهي من شرائط الإمامة كما هي من شرائط النبوة (كما وسبق أن تحدثنا عن العصمة في النبوة) وهي ليست كما يفهمها البعض، أن الله تعالى يجبر المعصوم على ترك المعاصي وإتيان الواجبات لا وإنما لا تخفى ألطاف الله سبحانه وتعالى على الجميع وعلى المعصوم بالذات فالمعصوم يكون قادراً بقوة العقل والذكاء والإيمان المنقطع لله تعالى على أن يمتلك هذه الصفة أي العصمة عن الخطأ والزلل قال الشيخ المفيد في كتاب (أوائل المقالات) باب (القول في عصمة الأئمة): (إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرائع وتأديب الأنام معصومون كعصمة الأنبياء لا تجوز عليهم كبيرة ولا صغيرة.. ولا سهو في شيء من الدين ولا ينسون شيئاً من الأحكام..).

ويقول الشيخ المظفر: (ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سن الطفولة إلى الموت عمداً وسهواً كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان لأن الأئمة حفظة الشرع والقوامون عليه حالهم في ذلك حال النبي صلى الله عليه وآله.

ويقول العلامة الحلي في كتاب (نهج الحق): (.. ولأن الحاجة إلى الإمام إنما هي للانتصاف للمظلوم من الظالم ورفع الفساد وحسم مادة الفتن ولأن الإمام لطف يمنع القاهر من التعدي ويحمل الناس على فعل الطاعات واجتناب المحرمات ويقيم الحدود والفرائض ويؤاخذ الفساق ويعزر من يستحق التعزير فلو جازت عليه المعصية وصدر عنه انتفت هذه الفوائد)(١٢)

---

(١) ميزان الحكمة ج١، ص١٥٩، وص١٩١ – ١٩٧ - ص١٧٣ على التوالي.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.
(٣) سورة النجم، الآيتان: ٣ و ٤.
(٤) البقرة، الآية: ١٢٤.
(٥) سورة ص، الآية: ٢٦.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.
(٧) صحيح مسلم: ج٢، ص١٩١.
(٨) نقلاً عن الشيخ مغنية: ص٣٧؛ العلامة الحلي في شرح التجريد: ص٢٥٠.
(٩) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.
(١٠) ميزان الحكمة: ج١، ص١٩٠ - ١٩٢.
(١١) سلسلة أصول الدين للشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ص٢٨.
(١٢) عقائد المظفر: ص٦٧.

المولى علي الكني الطهراني



العلامة الراشد التقي الإمام الحاج ملا علي الكني الرازي الطهراني قدس الله روحه الزكية: هو العلامة الجليل والفقيه المتبحر النبيل الإمام علي بن قربان علي بن شعبان علي الكني الرازي الطهراني و(كن) مفرد اكنان، قرية في ثلاثة فراسخ من عاصمة طهران في الجانب الغربي الشمالي منها، ينسب إليها المترجم وهي عامرة حتّى اليوم وهي ممتازة بكثرة فواكها وطيبها وجودتها طعماً وصورةً ولاسيما الطين والرمان منها على جهة خاصة من الامتياز وغلط مَن توهم بأنّه (كند) بالدال المهملة وهي القرية في اللغة التركية فتكون النسبة فيها (الكندي) وإنّها حذفت في التلفظ لكثرة الاستعمال تخفيفا.

وذلك لأنها وقعت في ناحية جبليّة حفّت بالجبال من جوانبها و(كنّ) بكسر الكاف وتشديد النون الستر والاختفاء كما في القاموس وغيره، فسميت القرية المذكورة بها فكأنّها استترت بها ويفتّح الكاف في الاستعمال.

وكان المترجم المغفور له من عَمَد علماء العاصمة الطهران ـ لا زالت مشفوقة بالخطل والعمران ـ في عصره، أرفعهم مقاماً وأعظمهم موقعاً وأجلهم شأناً وأبسطهم نفاذاً وأحصفهم عقلاً وكياسةً وأمتنهم رأياً وأدّقهم نظراً وأوسعهم فكراً ومقدمهم في الدولة والأمة.

انتهت إليه الزعامة العامة والرياسة الكلية الروحانية والمرجعية التامة والقيادة والإمامة في الدين والعلم، وكان فقيهاً، أصولياً، رجالياً، محدّثاً، حسن الفهم، مستقيم الذهن.

عاصر المترجم لجلالة الملك ناصر الدين القاجار وكان له عظيم الموقع في بلاطه ودولته كان جلالة الملك يعظمه ويبجّله تبجيلاً عظيماً يليق بمقامه وينبغي له وكان له بليغ النفوذ في طبقات الناس، كان وجيهاً، مقبولاً في العامة وقد امتاز رحمه الله في عهده بل في قرنه بين أقرانه بعميم النفاذ وعلوّ الصيت ووفور العقل وحسن التدبير وكرامة الأخلاق وطهارة السجية والوزانة والمتانة وحسن اعتقاد الناس في حقّه من الخواص والعوام والجمع بين التواضع والوقار والنظر في جميع الأمور.

وكان تقيّاً، متورعاً، محترزاً عن كثير الاختلاط والامتزاج مع الناس مع النظر والدخل في أمورهم وأحوالهم وقبول مراجعاتهم، حتى في أمورهم العرفية فضلاً عن الأمور الشرعية الدينيّة وكان صاحب الشوكة والحشمة والجلالة والنبالة.

قال في المآثر والآثار ـ وهو معاصر للمترجم المغفور له بشخصه ـ ما هذا ترجمته:

إنّ المترجم المعظم قد اتسع دائرة نفاذ أمره وبسط يده وصيت عظمته وجلالته حتّى تجاوز من حدود آسيا ووصل إلى الأقاليم الأخرى وخضع لمقام قدسه ونبالته وجلالته جلّ من منتحّل بالتشيع في الآفاق والأخطار بل وغير الشيعة أيضا من الأعاظم وسائر طبقات الناس من الأمم والفرق.

وكان المترجم رحمه الله مرجع الأمور الديني والروحاني للعامة في طهران وكان له مجلس بحث كبير في الفقه الاستدلالي وكان يحضره جمع كثير من المشتغلين الفضلاء وكان يتولي أمور مدرسة الخان المروزي وأوقافها التي مختص على حسب تعيين الواقف وشرطه في أصل الوقف، بأعلم علماء العصر في طهران وكان ذلك لا يخلو عن أهميّة في وقته وكان يقيم الجماعة في الجامع المروزي وكان يحضر جماعته جماعة معظمة من الخواص ووجوه طبقات الناس وكان في أيام رمضان وغيرها من الأيام الخاصة كالأعياد الديني ونحوها، يتبادر الناس إلى الحضور في جماعته بكثير قبل الوقت، لكثرة زحام الناس وضيق المكان عن كل وارد بعد الوقت، فكان الناس يتبركون بالصلاة معه والايتمام به ويباهون بذلك بعضهم بعضاً.

وإذا أراد جلالة السلطان ناصر الدين القاجار في ضمن عمران البلد في طهران وترتيب الشوارع العام فيها وتعديلها، كان مسجد صغير بجنب الشارع المعروف ألان بشارع الباب الألماسية أو باب همايون وكان المسجد المذكور يمنع عن سعة الشارع المقدّرة واستقامته على ما كانوا يريدونه، فعزم السلطان بتخريبه لاتساع الطريق واستقامته ولكن ما كان يرى ذلك جلالة الملك إلاّ بعد الاستخارة عن حضرة المترجم قدس سره فكتب إليه السلطان يستجيزه في ذلك ملتزماً باعطاء ضعف قيمة أرض المسجد وبنائه للمستحقين بوسيلة المترجم وبناء مسجد آخر أعظم من المسجد المزبور في أيّ محلّ يراه المترجم وبأيّ وضع أراده مصراً على ذلك بما استهدفه وقد أفتى بجوازه بعض من انتحل بالروحانيّة في معاصريه قبله.

فكتب المترجم إليه جواباً عنه بعد أداء المراسم المتعارفة:

((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾
أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ
طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ
﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ))[1].

فإذا بلغه كتابه انصرف الملك عن العمل من ساعته، ما كان المترجم حياً ولما توفّي المترجم رحمه الله فعملوا به كما كانوا يريدونه وكم له من نظير.

ولد المترجم في قرية كن المذكورة في أسرة خامدة قروية ونشأ فيها نشوء جمود وخمود إلى أن بلغ فيها على عشرين فصاعداً ولم يذق من العرفان شيئاً حتّى رائحته وبعد ذلك طلع في أفق قلبه نور العلم وحبّب الله إليه العرفان بما كان يراه وارتضى له، فشرع في التحصيل في طهران أولاً زاهراً في ناصيته اثر الرشد ونور الذكاء والفلاح، ثمّ هاجر منها مستجيراً إلى أعتاب أئمة العراق عليهم السلام حتّى قرأ في الحائر الشريف الحسيني والنجف الأقدس على العلامتين العلمين الأستاذ السيد إبراهيم القزويني الحائري ـ صاحب كتاب (ضوابط الأصول) وكتاب (دلائل الأحكام) وغيرهما من المؤلفات الرائقة وخليفة أستاذ العلامة المحقق شريف العلماء المازندراني الحائري ـ والفقيه الأعظم فقيه الشيعة في عهده الإمام الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر وغيرهما من صناديد عصره ـ والشيخ حسن كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٦٢هـ ـ والشيخ مشكور حولاوي النجفي المتوفى سنة ١٢٧٣هـ، حتّى بلغ من العلم أقصاه ونال من فروعه وأصوله إلى ما كان يتمناه.

ثمّ رجع إلى طهران ولكن (لم يكن) له فيها لا يمين فيرفع ولا شمال فيدفع، ليس له فيها معرّف إلاّ العلم والتّقى فلم يمض عليه فيها إلاّ يسير من الزمان، حتّى علا اسمه وطار صيته وتقمّص بأعباء الرياسة الروحانيّة والزعامة الدينية وقام بالأمر كما أمر، باستحقاق منه لذلك.

قاد الأمة في عهده أحسن القيادة وأجملها قيادة الفضل والعرفان والورع والتقى والخير والصلاح والهداية والإرشاد والتحلية والتهذيب.

كان المترجم في أيام تحصيله فقيراً صفر اليد في طهران والنجف الأقدس بحيث لا يقدر من تهيئة وسائل عيشة وضرورياتها على أدنى الوجوه حتّى قيل أنه كان لا يقدر في بعض أيامه على تهيئة سراج للمطالعة في منزله ولكن يا للعجب أنّه لم يوجب ذلك كلّه وهذا التعب والنصب، أدنى مَلَل ولا فتور في عزائمه الراسخة القويّة وروحه الملكوتية الإلهية وتعطيل في قصده وتوقف في مشيه.

ولمّا نزل المترجم إلى طهران فكأنّه خصّص شيئاً من أوقاته بأمر الفلاحة والزراعة في بعض نواحيها بما كان عليه من سابق أنسه والفته بذلك وأعانه في ذلك بعض ربعه الأولين من أهل قريته وأقاربه، فحصل له منه شيء ثمّ تصدّى بما في يده بطبع بعض الكتب العلميّة، فاغناه الله تعالى بذلك بكامن لطفه وبليغ حكمته وحصل له بذلك مال خطير فكان لا يأخذ شيئاً من الناس عوضاً من أعماله وانتفاعاً من مقامه وكان ذلك مزيداً في علوّ مقامه واعلاء كلمته ونفاذ أمره وجلالة قدره.

كان للمترجم المغفور له من الضياع والعقار ما يعتد بها في أواخر أمره ووقّف قسمة معظمة منها للمصالح العامة ووجوه الخير والمبرات وبعض عائلته وهي اليوم موجودة معمورة بتولية بعض العادة وتصديهم وينتفع بها جماعة من أهل الاستحقاق من أولاده وغيرهم.

توفّي المترجم رحمه الله في طهران عن سن الثمانين تقريباً في سنة ١٣٠٦ ست وثلاثمائة وألف ودفن في جوار حضرة المحدث الجليل السيد عبد العظيم الحسني رضي الله عنه جنب الحرم الشريف ودفن في بقعته بعده جلالة السلطان ناصر الدين القاجار في سنة ١٣١٣ الهجري القمري وهي معروفة ببقعة السلطان ناصر الدين ولكن قبر المترجم ظاهر معروف هناك يزوره الناس كما دفن فيها بعض العلماء أخيراً أيضاً، مثل العلاّمة الشيخ عبد النبي النوري المازندراني الطهراني والعلامة الميرزا محمّد ابن شيخنا الأستاذ الإمام الشيخ مولى محمّد كاظم الخراساني النجفي.

وكان المترجم رحمه الله قد اتفق وفاته مع وفاة العلامة الحكيم المتأله الجليل الميرزا محمد رضا القمشي الإصفهاني الطهراني في طهران في يوم واحد ولازدحام الناس على تشييع المترجم وحمل جنازته واجتماع طبقات الناس وتعطيل الأسواق والمؤسسات لذلك، تعطل حمل جنازة الحكيم المزبور إلى الغد بلا اختيار منهم، فلم يقدروا على حمله لاستغراق توجه الناس وهمّ العامة إلى تشييع المترجم وذلك بلا سائق خارجي يسوقهم إلى ذلك غير خلوص العقيدة والإيمان بالله وحسن الاعتقاد وعظيم موقعه في قلوب الناس.

وللمترجم آثار ثمينة ومؤلفات رشيقة، منها:

(١) كتاب تحقيق الدلائل في شرح تلخيص المسائل في القضاء والشهادات وهو كتاب كبير مبسوط جليل نافع وطبع في دار السلطنة طهران في سنة ١٣٠٤.

(٢) وله كتاب الطهارة أيضا.

(٣) وكتاب الصلاة.

(٤) وكتاب البيع والخيارات.

(٥) وله بعض الحواشي على كتاب جواهر الكلام لاستاذه الفقيه الأعظم.

(٦) وله أيضاً رسالة في الدراية سماها تلخيص (توضيح) المقال في علم الدراية والرجال.

وقد سمعت آنفاً أن المترجم المغفور له هو ممّن شرع في التحصيل في كبر سنه، شرع هذا الرجل في تحصيل العلم بعد العشرين بلا كفيل لمعاشه ولا معين في جري أموره وترتيب عيشته غير اتكاله على الله عزّ وجلّ بصفر اليد، حتّى مَنّ الله تعالى عليه بعظيم مننه من شامخ المقام والموقع الأسنى كما سمعته.

ومن طريف ما ينبغي ذكره في المقام ما ينسب إلى أيام اشتغال المترجم بأمور الزراعة والفلاحة في قرية كن قبل وروده بالتحصيل، سمعنا به من طرق عديدة وأسانيد متعددة من أحفاده وغيرهم، بل لعلّه مشهور عند جماعة من أهله وغيرهم من الخواص، ثمّ سمعنا بها عن بعض الثقات من أخلائنا الراوي عن الشاهد للواقعة وأصل صاحب العلة حسبما تسمعه.

روي لي بعض الثقات من أخلائنا، قال:

سمعت عن رجل سمّاه هو (باسم الرجل خاصاً ولكنّي ذاهل به الآن) وكان من أهل الفهم والصلاح والمتانة من أهل القرية المزبورة، قال: كان المترجم عندنا في القرية المذكورة، للقيام بأعمال الفلاحة والزراعة وهو شاب حديث البلوغ، يقرب عمره يومئذٍ من ثمانية عشر عاما تقريباً، فكنّا في يوم من الأيام نشتغل بأمور الزراعة في قطعة كانت لنا والمترجم مشغول معنا كذلك على العادة السارية من قضاء حقّه وايفاء وظيفته، فبينما نحن على العمل إذ قد ورد علينا رجل يدّعي بأنّ عنده علم الرمل وكان يسير في القراء على عادته يترمّل للناس ويرتزق بذلك لنفسه وأهله، فترمّل الرجل لنا واحداً بعد واحد لطلبنا منه ذلك وتكلم لكل واحد من الحضار بما كان عنده على نظره وكان أكثر ما يقول لا يخلو عن المطابقة في الحال والماضي من الأحوال، حتّى وصلت النوبة إلى المترجم وترمّل له فإذا قد أخذ الرجل ينظر إليه بنظر مخصوص فكأنّه نظر تعجب وحيرة ينظر إليه طويلاً غير ما كان قبله، فتعجبنا من عمله وسألناه عنه، فقال: أنّ أمر هذا الغلام والله لعجيب جداً لأنه إمّا يصير مالكاً قاهرا أو رجلا عظيماً يحكم على جماعة من الناس، كالملك القاهر القادر.

قال الراوي: فلمّا سمعنا بمقالته فيه أخذنا ينظر بعضنا إلى بعض بنظر الاستهزاء ضاحكاً من كلامه، حتّى انقضى المجلس وطال ما مضى علينا من الزمان وقد نسينا ما كنّا سمعنا به من الوعد، حتّى تجاوز عمر المترجم من عشرين وهو مشتغل عندنا كما كان.

وحينئذٍ فقد سافر المترجم منها إلى طهران في يوم من الأيام بصحبة ما كنا نحمله إليها من الفواكه للشراء فيها في كلّ يوم ولم يرجع إلينا في موعده، حتّى مضى عليه بعض الأيام وقام بعض منّا بالفحص والاستفسار منه، حتّى وجدوه في بعض مدارس طهران مشتغلاً بالتحصيل عند بعض المشتغلين فيها ولم يمض على ذلك إلاّ أعوام يسيرة، حتّى سمعنا بصيت فضله وتقواه وحسن سيرته وجميل عشرته في أقرانه، حتّى بلغ من المقام ما بلغ[٢]، فأكمل دراسته في مدينة إصفهان عند أستاذه سيد أسد الله الإصفهاني المتوفى سنة ١٢٩٠هـ.

في الثامن عشر من شهر جمادى الثانية عام ١٢٨٩هـ، تم الاتفاق بين ناصر الدين شاه - حاكم البلاد الإسلامية - مع التاجر البريطاني - رويتر - على أن يتم إنشاء سكة حديد من الجنوب إلى الشمال وأن يكون حق التصرف في الأراضي التي هي أطراف السكة الحديد أو أطراف محطة القطار بيد التاجر البريطاني، حيث عبر الغرب عن هذا الاتفاق بأن لن يبقى للحاكم إلا الهواء من بلاده، فتم الاعتراض من قبل الملا علي الكني الطهراني فجمع العلماء والطلبة، فأرسل رسالة قوية إلى الحاكم فطلب منه إلغاء التوقيع والاتفاق، أو يتم ثورة شعبية على السلطة الحاكمة وطالب بإقالة الشخصين اللذين خانا البلاد هما - محمد حسين خان سبهسالار (صدر الأعظم) و الميرزا ملكم خان (ناظم الدولة) -، حين وصول ناصر الدين شاه في الميناء من أوربا تم إخباره بالثورة الشعبية ضد الاتفاق ومطالبة الناس بإلغاء التوقيع، فتم إلغاء الاتفاق في عام ١٢٩٠هـ.[٣]

وللعلامة المترجم قدس سرّه وطاب رمسه مقام محمود ويوم مشهود مع الخطيب المعروف في عهده والمتكلم البارع الحاج مولى إسماعيل الواعظ الشهير المعروف السبزواري الطهراني في مجلسه العام.

---

(١) سورة الفيل، الآيات: ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥.

(٢) كتاب مرآة الشرق: ص٨٩٤ - ٨٩٩.

(٣) موقع انديشه.

..موضع قتل الحسين عليه السلام وما في ذلك من المعجزات..

ابن بابويه: بإسناده عن ابن عباس، قال: كنت مع علي عليه السلام في خرجته إلى صفّين، فلمّا نزل بنينوى، وهو شطّ الفرات، قال بأعلى صوته:

«يا بن عبّاس، أتعرف هذا الموضع؟».

فقلت: ما أعرفه يا أمير المؤمنين.

فقال علي عليه السلام: «لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كبكائي».

قال: فبكى طويلاً حتى اخظلّت لحيته، وسالت الدموع على صدره، وبكينا معه وهو يقول: «اوه أوه ما لي ولآل أبي سفيان؟ ما لي ولآل حرب حزب الشيطان، وأولياء الكفر؟ صبراً يا أبا عبد الله، فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم».

ثم دعا بماء فتوضأ وضوء الصلاة، فصلّى ما شاء الله أن يصلي، ثم ذكر نحو كلامه الأول إلا أنه نعس عند انقضاء صلاته وكلامه ساعة، ثم انتبه، فقال: «يا ابن عباس».

فقلت: ها أنا ذا.

فقال: «ألا أحدّثك بما رأيت في منامي آنفاً عند رقدتي؟».

فقلت: نامت عيناك ورأيت خيرا يا أمير المؤمنين.

قال: «رأيت كأني برجال (بيض) قد نزلوا من السماء، معهم أعلام بيض، قد تقلّدوا سيوفهم وهي بيض تلمع، وقد خطّوا حول هذه الأرض خطّة، ثمّ رأيت كأن هذه النخيل قد ضربت بأغصانها الأرض (فرأيتها) تضطرب بدم عبيط، وكأني بالحسين عليه السلام سخلي وفرخي ومضغتي ومخّي قد غرق فيه، يستغيث فلا يغاث، وكأنّ الرجال البيض (قد) نزلوا من السماء ينادونه ويقولون: صبراً آل الرسول، فإنّكم تقتلون على أيدي شرار الناس، وهذه الجنّة يا أبا عبد الله مشتاقة إليك، ثمّ يعزّونني ويقولون: يا أبا الحسن أبشر، فقد أقرّ الله (به) عينك يوم (القيامة) يقول الناس لربّ العالمين.

ثمّ انتبهت هكذا والذي نفس عليّ بيده، لقد حدّثني الصادق المصدّق أبو القاسم صلى الله عليه وآله وسلم إنّي سأمرّ بها في خروجي على أهل البغي علينا، وهذه أرض كرب وبلاء، يدفن فيها الحسين عليه السلام وسبعة عشر رجلا (كلهم) من ولدي وولد فاطمة عليها السلام وإنها لفي السماوات معروفة، تذكر أرض كرب وبلاء كما تذكر بقعة الحرمين، وبقعة بيت المقدس».

ثمّ قال (لي): «يا بن عباس اطلب (لي) حولها بعر الظباء، فو الله ما كذبت ولا كذّبت وهي مصفّرة لونها لون الزعفران».

قال ابن عباس: فطلبتها فوجدتها مجتمعة فناديته: يا أمير المؤمنين، قد أصبتها على الصفة التي وصفتها لي.

فقال علي عليه السلام: «صدق الله ورسوله».

ثم قام علي عليه السلام، يهرول (حتى جاء) إليها، فحملها، وقال: «هي هي (بعينها)، أتعلم يا بن عباس ما هذه الأبعار؟ هذه قد شمّها عيسى بن مريم عليه السلام، وذلك أنه مرّ بها ومعه الحواريون فرأى ها هنا الظباء مجتمعة وهي تبكي، فجلس عيسى عليه السلام وجلس الحواريون (معه)، فبكى (وبكى) الحواريون، وهم لا يدرون لم جلس ولم بكى.

فقالوا: يا روح الله وكلمته، ما يبكيك؟

قال: أتعلمون أيّ أرض هذه؟

(قالوا: لا).

(قال): هذه أرض يقتل فيها فرخ رسول الله أحمد صلى الله عليه وآله وسلم وفرخ الحرة الطاهرة البتول، شبيهة أمي، ويلحد فيها، (طينه) أطيب من المسك لأنها طينة الفرخ المستشهد، وهكذا تكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبياء فهذه الظباء تكلمني، وتقول إنها ترعى في هذه الأرض شوقا على تربة الفرخ المبارك، وزعمت أنّها آمنة في هذه الأرض.

ثمّ ضرب بيده البعيرات فشمها، وقال: هذه بعر الظباء على هذا الطيب لمكان حشيشها، اللهم فابقها أبدا حتى يراها أبوه فتكون له عزاء وسلوة.

قال: فبقيت إلى يومنا هذا وقد اصفرّت لطول زمنها، وهذه أرض كرب وبلاء».

ثم قال بأعلى صوته: يا ربّ عيسى بن مريم، لا تبارك في قتلته، والمعين (عليه)، والخاذل له».

ثمّ بكى (بكاء) طويلاً وبكينا معه حتى سقط لوجهه وغشي عليه طويلاً، ثمّ أفاق فأخذ البعر فصره في ردائه، وأمرني أن اصرّها كذلك ثمّ قال: يا ابن عباس إذا رأيتها تنفجر دماً عبيطاً، ويسيل منها دم عبيط، فاعلم أن أبا عبد الله عليه السلام قد قتل بها ودفن.

قال ابن عباس: فو الله لقد كنت أحفظها أشدّ من حفظي لما افترض الله عز وجل عليّ وأنا لا أحلها من طرف كمّي، فبينا أنا نائم في البيت (إذ انتبهت) فإذا هي تسيل دماً عبيطاً، وكان كمّي قد امتلأ دماً عبيطاً، فجلست وأنا باكٍ وقلت: (قد) قتل والله الحسين، والله ما كذبني (لي) قطّ في حديث (حدّثني)، ولا أخبرني بشيء (قط) إنه يكون إلا كان كذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (كان) يخبره بأشياء لا يخبر بها غيره.

ففزعت وخرجت - وذلك عند الفجر - فرأيت والله المدينة كأنها ضباب لا يستبين منها أثر عين، ثمّ طلعت الشمس فرأيت كأنها منكسفة، ورأيت كأن حيطان المدينة عليها دم عبيط، فجلست وأنا باكٍ وقلت: قتل والله الحسين، وسمعت صوتاً من ناحية البيت وهو يقول:

اصبروا آل الرسول
قتل الفرخ النحول
نزل الروح الأمين
ببكاء وعويل

ثمّ بكى بأعلى صوته، وبكيت فأثبتّ عندي تلك الساعة كان شهر محرّم يوم عاشوراء لعشر مضين منه، فوجدته قتل يوم ورد علينا خبره وتاريخه كذلك، فحدّثت بهذا الحديث (أولئك) الذين كانوا معه.

فقالوا: والله لقد سمعنا ما سمعت ونحن في المعركة ولا ندري ما هو.

قلت: أترى أنّه الخضر عليه السلام.[1]

---

(١) مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني: ج١، ص١٦٥ - ١٧٠

شرح الصحيفة السجادية

الحلقة الثامنة

(.... وَجَعَلَ لِكُلِّ رُوحٍ قوتاً مَعْلوماً مَقْسُوماً مِنْ رِزْقِهِ،.....).

الروح: يشمل كل الذي به حياة النفس وتأتي عنواناً للنفس الإنسانية الناطقة ذات البيان، والروح يذكر ويؤنّث، وفي نسخة ابن إدريس (لكل زوج) بمفهومه القديم الموحد لا يكون له نظير كالأصناف أو نقيض كالذكر والأنثى؛ والقوت: المدار من الطعام الذي يمسك به الرمق، والمعلوم: معروف الوصف؛ والمقدار والمقسوم: أي المفروز المعين ضمن توزيع وقسمة، حيث خص الله كل نفس برزق محدد المقدار والنوع تتبلغ به الحياة.[1]

وقيل: (وجعل لكل روح منهم) أي لكل إنسان (قوتاً معلوما) القوت: ما يأكله الإنسان، أو المراد الأعم من المأكول والملبوس وما أشبه، (مقسوماً من رزقه) وقد عينه له حين قسم الأرزاق للبشر (لا ينقص من زاده) الله سبحانه في الرزق.[2]

وقيل أيضا في (وجعل لكل روح منهم قوتا...)، قال الله تعالى: ((وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ)).[3]

بالسعي مع القدرة عليه؛ لأنّ لكل شيء داعية، وسبباً، وقصة مريم حيث قال الله تبارك وتعالى: ((كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ)).[4]

هي قضية في واقعة خاصة، وكرامة من الله لمريم عليها السلام، قال سبحانه وتعالى: ((هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ)).[5]

فالسعي طريق لابد من سلوكه، ولكن يجب أنْ لا يذهل عن الله سبحانه، فكم من فقير استغنى، ومن غني افتقر بالمخبآت، والمفاجآت التي لا يعلم بها إلا الله.

ولابد من التنبيه إلى أنّ الحرام من رزق الشيطان، ومحال أن يكون من الرحمن، كيف وقد نهى عنه؟ وقال تعالى: ((أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ)).[6]

أمّا مَن عجز عن السعي فإنه يرزق بسبب طبيعي كالجنين في الرحم، أو عاطفي كربّ العيال، والأطفال يسعى لهم، أو من الصدقات، وبيت المال كالمقعدين الذين لا معيل لهم، ولا كفيل، ومهما يكن فكل الاسباب، ووسائل العيش تنتهي إليه تعالى؛ لأنّه خالق كل شيء حتّى العاطفة في قلب المعين هو باعثها.[7]

وقيل: جعل: من الأفعال العامة تجيء على ثلاثة أوجه.

بمعنى: صار، وطفق فلا يتعدّى، أو خلق وأوجد، والظرف متعلّق به، أو التصيير المتعدي إلى مفعولين فيكون أولهما قوتا وثانيهما الظرف المتقدّم على ما هو مقتضى الصناعة.

والروح، بضمّ الراء المهملة بعد الواو حاء مهملة: يذكّر ويؤنّث كما نصّ عليه الجوهري وصاحب المحكم.

قد تحيّر العقلاء في حقيقة الروح وعجزوا عن إدراك كنهه حتّى قال بعضهم: إنّ قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«من عرف نفسه فقد عرف ربّه»، معناه إنه كما لا يمكن التوصّل إلى معرفة النفس أعني الروح لا يمكن التوصّل إلى معرفة الربّ، وقوله تعالى: ((وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا)).[8]

وقال بعض علمائنا المتأخّرين: المستفاد من الأخبار عن الأئمّة الأطهار: إنّ الروح شبح مثالي على صورة البدن.

والقوت بالضمّ: ما يؤكل ليمسك الرمق، ومنه الحديث: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا»، أي بقدر ما يمسك الرمق من المطعم.

مقسوما، أي: معيّنا مفروزا عن غيره، قسمة تقتضيها مشيّته المبنية على الحكمة والمصلحة ولم يفوّض أمره إليهم، علماً منه بعجزهم عن تدبير أنفسهم كما قال تعالى: ((نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا)).[9]

لك أن تجعل كلاً من القوت والرزق في الدعاء أعمّ من الجسماني والروحاني، فإن الإنسان كما علمت مركّب من البدن والروح، فكما أن البدن محتاج في بلوغ كماله إلى قوت شبيه به في الجسمية ليزيد في قدره اللائق به ويكمل في ذاته، كذلك الروح محتاج إلى قوت مناسب له شبيه به في الروحانية ليقويه ويبلغ به غاية كماله، وهو العلم والمعرفة.

وإطلاق القوت والطعام على الغذاء الروحاني شائع كقوله عليه السلام: «أبيت عند ربّي يطعمني ويسقيني»، ومعلوم أنّ طعامه صلى الله عليه وآله وسلم عند ربّه ليس من جنس أطعمة الحيوانات اللحمية، ولا شرابه من جنس هذه الأشربة، وإنما المراد طعام العلم وشراب المعرفة.

وعن زيد الشحام عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: (فلينظر الإنسان إلى طعامه) قال: قلت: ما طعامه؟ قال: علمه الذي يأخذه عمن يأخذه.

فإذن الإنسان محتاج إلى كلّ من القوتين، فكما جعل لكلّ قوتاً جسمانياً معلوماً مقسوما من رزقه جعل له قوتا روحانيا معلوما من رزقه وبذلك إحتجّ عليه ووجّه الخطاب إليه.

قال بعض العارفين: لك أحد نصيب من لوامع إشراقات نوره قلّ أو كثر، فله الحجّة على كلّ أحد بما عرفه من آيات وجوده ودلائل صنعه وجوده، فوقع التكليف بمقتضى المعرفة، والعمل بموجب العلم، والله أعلم.[10]

---

(1) بحوث في الصحيفة السجادية للشيخ صالح الطائي: ص٨ ـ ٩.

(2) شرح الصحيفة السجادية للسيد محمد الشيرازي: ١٦ ـ ١٧.

(3) سورة هود، الآية: ٦.

(4) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(5) سورة الملك، الآية: ١٥.

(6) سورة البقرة، الآية: ١٧٤.

(7) في ظلال الصحيفة السجادية للشيخ محمد جواد مغنية: ص٥٠.

(8) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(9) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

(10) رياض السالكين للسيد علي خان الحسني الشيرازي: ج١، ص٢٧٠ ـ ٢٨٠.



شبهات أثارها الغرب حول المرأة في الإسلام

لعب الاستعمار كثيراً في إغواء شعوبنا الإسلامية وسعى حثيثاً في إضلالها وتحريفها عن طريق الهدى وأخذ ينصب شرك حبائله وألاعيبه في ساحة الأمّة متفنّناً في سبل السيطرة والهيمنة على نفوسها ومقدراتها.. فاستخدم الأساليب المتعدّدة للسيطرة على ثروات الدول والشعوب عبر إرهابه السياسي في إدارة الدولة وتسيير سياستها حسبما تقتضي المصلحة فتارة يمدّ نفوذه قسراً مستخدماً إرهابه العسكري للحيلولة والهيمنة على النظام وأخرى يحكم إرهابه الاقتصادي من أجل إخضاع الشعوب وإرغامهم بالتسليم تحت ضغط المجاعة وبأسلوب خطير وأخير هو غزوه الفكري (الإرهاب الفكري) حيث يبدأ بتغريب العقل المسلم وتحويله إلى شخصية داعية للغرب وبوقاً إعلامياً إلى برامجه وخططه.

وبدأ الاستعمار بتشويه ونقد الصورة الحقيقية لأيديولوجية المسلم مستعيناً برؤى زائفة صبغت بإطار الدين حيث تبدي الإسلام على أنّه دين يدعو إلى الرجوع والتحجّر وليس إلى الأمام والتقدّم... وهكذا بدأوا بكتابة المسلسلات والحلقات والمجلاّت الموسّعة التي تروّج للمفاهيم الغربية وتبديها بوجه ساطع ومزدهر.

وقد استعان الاستعمار بالأقلام المأجورة التي بدورها تسرّب السموم في عقول الشعوب المسلمة وما يدعو إلى الأسف أن هذه الادّعاءات التي روّجت لها الأجهزة الإعلامية كالمذياع، الصحف، التلفاز، ومثّلت الإسلام كأفيون للشعوب فقد تركت بصمات مشوّهة وآثاراً معوّقة ترتّب عليها إنجراف العديد من الكتّاب والشخصيات الإسلامية حيث عدلوا عن الإسلام إلى فلك الغرب لجرّاء ما أصيبوا بحالة من الانبهار من حضارة الغرب ودول أوروبا ونظروا بعين مادية على أن الإسلام عاجز على تحقيق ما أنجزه الغرب وحلفاؤه على صعيد الحياة المادية، وتطوّر العلوم الحديثة والتكنولوجية.

من هنا ننوّه بخطورة وبشاعة التغريب الذي سلخ من أمّتنا أصالتها وصنعها إلى شخصية مادية تسعى لتحطيم أصالتها وقيمها بيدها، وكهذا النوع من الغزو والتغريب ما تميّز به الاستعمار الفرنسي حيث نفّذ في كثير من الدول العربية الإسلامية، كلبنان والمغرب العربي حيث بدأ بتحطيم أكبر قدر من العادات والتقاليد الإسلامية وفرض البديل، المزيّف كإشاعة السفور وانحلال المرأة.

وبهذا القدر من المحاولة الإفسادية أصبحت العادات الإسلامية في مجتمعاتنا مقبورة ومضمورة لا أثر لها ومن يتعامل بها يصبح شاذاً في نظر الآخرين.. وأصبحت قيم الغرب وعاداته مألوفة ومتعارفة، فسادت مناهجهم التربوية والدراسية في المدارس والجامعات والمكتبات وانتشرت تقاليدهم وزيّ ملابسهم وطراز بيوتهم وكيفية أكلهم وشربهم حتّى يصل الحال لأقصى درجة من التبعية في بعض الدول أن تتحوّل اللغة المحلّية (العربية) إلى لغة أجنبية فتصبح مادّة أساسية في مناهج التدريس في المؤسسات الحكومية.

وآخر المقدّمة نشير إلى أهمّ ركيزة نصبها الاستعمار هو تسخير النساء وجعلها أداة ناجحة ومجدية للمخطّطات الاستعمارية فبدأ بسلب قناعة المرأة المسلمة عن الحجاب ومن ثمّ تحويلها إلى فعل يساهم في إفساد المجتمع وكان شعاره في ذلك (نحو تحرير المرأة) وإعادة حريّتها والمطالبة بحقوقها ويكون أوّل حقّ لها أن تنزع المرأة عفّتها، وشرفها وتتخلّى عن الحجاب ومن ثمّ تكون جسداً محرّراً من القيود لتمارس عملها الطبيعي في المجتمع والمصنع والمكتب... .

المرأة ومكانتها الإنسانية

كثر الحديث عن مكانة المرأة ودورها في المجتمع... وازدادت النظريات الغربية الداعية، لتحقير المرأة وقالوا لا قيمة لها وإنّما خلقت لأجل إشباع رغبات الرجل.. وإنّها مخلوق لا يعترف بها الدين الإسلامي من باب الحقوق.. واستدلّوا بذلك على أنّ المرأة تأخذ نصيبها في الإرث نصف سهم الرجل.. وشهادة إمرأتين بمثابة شهادة رجل.. وأن الإسلام جعل لها ثمناً وهو المهر.. .

وقالوا أنّها عنصر الخطيئة ومن وجودها يدبّ الفساد والشرّ ولها يد في كلّ خطأ يقترفه الرجل.. وقالوا أن الرجل مبرأ من الخطأ وإنّما زوجته تجرّه إلى الخطيئة..

وقالوا أنّ الشيطان لا يجد طريقاً مباشراً إلى الرجل وإنّما سبيله إلى المرأة فهي التي تخدع الرجل، واستدلوا في إخراج آدم من الجنّة بسبب زوجته حوّاء حيث وسوس لها الشيطان وهي أغرت زوجها، وأضافوا كذلك فيما يتعلّق باستعدادها الروحي والمعنوي وقالوا أنّ المرأة لا تدخل الجنّة وأنّها لا تستطيع أن تسمو في المراتب الروحية والدينية ولا تدرك ما يدركه الرجل في القرب من الخالق عزّ وجلّ... .

وبهذه الأدلّة الزائفة حاول البسطاء الدلالة على أن المرأة لا مكانة لها في الدين أو في المجتمع...).

رد هذه الشبهات

وما يعتقد به الإسلام أن ما وصفت به المرأة هو إجحاف وظلم لحقّها.. باعتبار أنّ الدين يساير المرأة كما يساير الرجل وأنّها مخلوق مكلّف بأداء الواجبات والابتعاد عن المعاصي والانصراف عن الذنوب، كما هو مطلوب من الرجل.

ولقد وضع الإسلام المكانة الإنسانية المشرّفة للمرأة وذلك ما دل عليه القرآن الكريم والأحاديث الطاهرة التي نصت بأن المرأة نصف المجتمع والحياة، قال الله تبارك وتعالى:

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)).(١)

وقال سبحانه وتعالى:

((هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ)).(٢)

وحينما يشير القرآن في بعض آياته (مثل يا أيّها الناس).. و(يا أيّها الإنسان).. و(كرّمنا بني آدم).. الإشارة هنا لا تقتصر على الرجل دون المرأة.. فالخطاب موجّه لكلا الطرفين، وإن قلنا خطاب التكريم يتمحور في الرجل دون المرأة فلقد نفينا وجوب الفرائض والواجبات الشرعية لديها.. بل نفينا وجود العقل في المرأة الذي يشكّل محور التكريم عن سائر المخلوقات.

جاء في الحديث القدسي:

«إن الله خلق العقل ثمّ قال له: أدبر فأدبر، ثمّ قال له: أقبل فأقبل، فقال الربّ: وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحسن منك ولا أشرف منك ولا أعزّ منك، بك أوحّد وبك أُعْبَدْ، وبك أدعى، وبك ألتجى، وبك أبتغي، وبك أخاف، وبك أحذر، وبك الثواب، وبك العقاب».(٣)

ولا ننفي أن الإسلام أعطى للرجل بعض المؤهّلات ما لم يعط للمرأة كممارسة القضاء، ورجل بامرأتين في الشهادة، وعدم أمّ الرجل في الصلاة وعدم تقليدها في حال اجتهادها، وكل ذلك لا يشير على أن الدين لا يضع أهمّية للمرأة حيث لا يمنحها بعض الصلاحيات الممنوحة للرجل دونها.. وإنّما ذلك يرجع إلى طبيعة الخلق والاختلاف السيكولوجي لدى الطرفين.

المرأة ليست سلعة

ومن قال أن المرأة سلعة تشترى من بيت أبيها فهذا رأي لا يعيه العقل، إن الرجل الذي يبحث عن فتاة تناسبه وتشارك حياته في سرّائه وضرّائه هذه الفتاة أسمى من أن تكون بضاعة أو سلعة تشترى ولو كانت سلعة للشراء فلماذا أعطاها الإسلام قرار الموافقة وضرورة إدلاء رأيها بإرادتها في الرجل المراد زواجه.. لكان القرار بيد أبويها هما اللذان يزوّجان وإن أرادا يطلّقان، غير ناسين أن الزواج أمرٌ مقدّس وليس تجارة وإنّما بناء مقدّس يكوّن أسرة صالحة تساهم في بناء كيان المجتمع المسلم، ولهذا أن العديد من الأحاديث والروايات تؤكّد على أمر الزواج.. وذلك لبلوغ ضرورته وأهميته.. وأمّا ما قالوا بأن المهر يعني شراء المرأة كسلعة ومن ثمّ امتلاكها فندل به على أن المهر نتيجة تدبير ذكيّ امتلاكها فندلي به على أن المهر نتيجة تدبير ذكيّ في أصل الخلقة من أجل تمتين علاقة المرأة بالرجل وتماسكها... .

ودور كل من المرأة والرجل في مسألة الحبّ مختلف في أصل الخلقة وهذا القانون يسري ـ عرفاً ـ على الوجود بأجمعه إذ يقال أن قانون الحبّ والجاذب والمجذوب يسري على كافة الموجودات والمخلوقات مع خاصية مفادها.. أن الموجودات والمخلوقات متفاوتة باعتبار أن لكل موجود دوراً خاصاً يجب آداؤه.. وفي هذا الصدد نكتة هامة أشار إليها الشهيد مطهّري في كتاب (نظام حقوق المرأة في الإسلام) يقول العلماء (الرجل أكثر شهوة من المرأة وقد ورد في بعض الروايات أن الرجل ليس أكثر شهوة من المرأة بل العكس من ذلك.. إلاّ أن المرأة خلقت أكثر من الرجل قابلية على مقاومة شهوتها.. ونتيجة الحديثين واحدة ففي كلتا الحالتين يكون الرجل تجاه غريزته أضعف من المرأة.. وهذه الخاصية أضفت إلى المرأة ميّزة وهي ألاّ تذهب في طلب يد الرجل ولا تستسلم له بسهولة بل العكس اضطرّ الرّجل إلى إظهار حاجته والمبادرة إلى جلب رضاها واحترام رغبتها وأن يقدم لها هديّة.. وللمهر جذر مشترك مع حياء وعفّة المرأة فقد أدركت بإلهام فطري أن عزّتها واحترامها يقتضيان بأن لا تسلّم نفسها مجّاناً.. وقد أدّى ذلك كلّه أن تتمكّن المرأة مع ضعفها الجسدي جرّ الرجل إلى ساحتها خاطباً وتدفع الرجال إلى التنافس من أجلها كما أنّها تهمّ بإخراج نفسها من متناول يد الرجل.. وحين ترضى بالزواج من الرجل تستلم منه هديّة دليلاً على الصداقة..).

المهر في القرآن

يقول عزّ وجل:

((وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً)).(٤)

أي أعطوا النساء مهورهنّ التي هي ملك لهنّ بأيديهنّ لا بأيدي الآباء والأمّهات.. أنّها هداياكم إليهنّ.. والقرآن الكريم أشار إلى ثلاث نقاط في هذه الآية الكريمة:

١ . سمّي المهر صدقة بضمّ الدال والصدقة مشتقّة من مادّة صدق ولذا سمّي المهر صداقاً لدلالته على صدق العلاقة مع الرجل وقد أشار إلى هذه النقطة بعض المفسّرين كصاحب الكشّاف وكذلك أورد الراغب الأصفهاني في مفردات غريب القرآن أن الصدقة بضمّ الدال سمّيت لأنّها دليل على الإيمان.. .

٢ . بإلحاق ضمير هنّ بالصدقات أراد الله عزّ وجلّ أن يشير إلى تعلّق المهر بنفس الفتاة لا بالأب أو الأم (لأنّ المهر ليس أجرة التربية والإرضاع والإطعام).

٣ . أنّه باستعمال كلمة (نحلة) يصرّح بوضوح أن المهر ليس له عنوان غير الهدية والمنحة فحسب.. .(٥)

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.
(٣) كلمة الله للشهيد السيد حسن الشيرازي قدس سره: ص١٦٦.
(٤) سورة النساء، الآية: ٤
(٥) الحجاب إيمان وقناعة، (مع تصرف بسيط)، تأليف: جعفر اليوسف، ص٥ ـ ٢٠.



لسانك حصانك إن صنته صانك وإن هنته هانك[1]

نقل فضيلة الشيخ كمال الدين الكنبدي الهمداني دام بقاؤه عن أحد أبناء مدينته المدعو الحاج حسين أنه قال:

رأيت فلانا في المنام (ولم يذكر الراوي اسمه لي حتى يتجنّب غيبة الرجل الميت) وكان يحرّك آلة، يُلقي فيها أشخاصاً يفصل لحمهم عن عظامهم، فسألته مستاءً متعجباً:

ما هذا العمل الذي تعمله؟ فقال:

إن هؤلاء مذنبون، وإنّني لست راغباً في هذا العمل، ولكنّني أمرتُ أنْ أقوم به لأنّي أسأت في الحياة الدنيا لأحد العلماء، وهو الشيخ كمال الدين، وأرجو منك أنْ تذهب إلى الشيخ وتسأله أنْ يصفح عنّي.

وقل له: قبل ثلاث ليال عندما كنت منشغلاً بصلاة الليل تذكّرت اسمي، ولم تطلبْ المغفرة لي، بسبب تلك الإساءة التي بدرت منّي تجاهك.

قال الشيخ كمال الدين في تصديق هذه الرؤيا: صحيحٌ قد تذكّرتُ اسمه في الصلاة، ولكنّني كما قال لم أطلب له المغفرة بسبب تلك الإساءة، وكانت القضية كالآتي:

إنّ المتوفى في حياته عندماكان مشغولا في بناء بيته، وضع الميزاب في جهة لم أوافق عليها، فقلت له: ضعه في الطرف الآخر من المنزل، فقال لي: (وما دخلك أنت؟ ليست لك الصلاحية في إظهار الرأي في مسائل البناء، فأنت تعلم المسائل الدينية فقط، إذهب وانشغل في عملك، وعلّم الناس الأحكام.

ولأنّه قال هذا الكلام مستهزئاً، وفي حضور الناس فقد تألّمتُ منه كثيراً.

أقول: يا أخي في الله، احفظ لسانك: حذار أنْ تصدر منك كلمة توجب هلاكك فقد روي في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ الله يعذّب اللسان عذاباً شديداً، ولا يعذّب باقي أعضاء الجسم كما يعذّبه، فيقول اللسان: إلهي عذّبتني بعذاب لم تعذّب به عضواً آخر؟

فيرجع الجواب: قد خرج منك كلام، ووصل إلى مشارق الأرض ومغاربها، فأريق بسببه الدم الحرام، ونُهب المال الحرام، وهتك العرضُ المحترمُ، قسماً بعزّتي وجلالي لأعذّبنّك بعذابٍ لا أعذّب به باقي أعضاء الجسم».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا يدرك عبد حقيقة الإيمان حتى يحفظ لسانه».

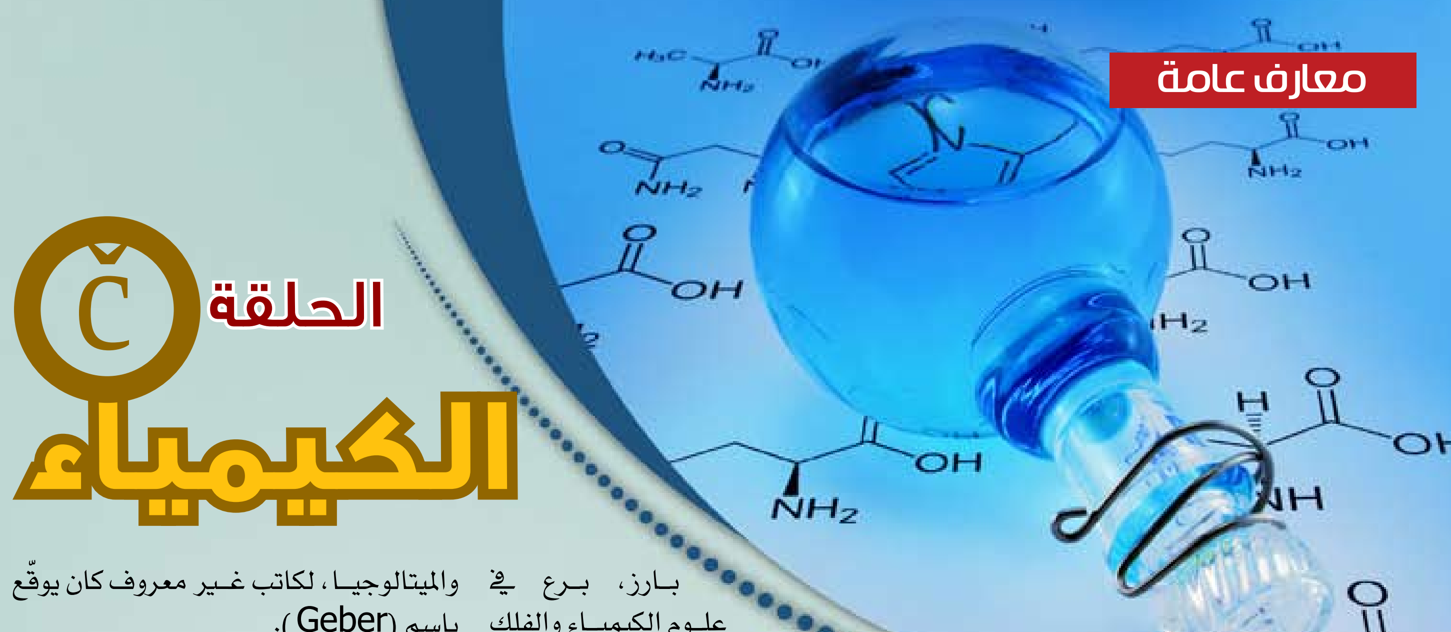
وفي هذا الحديث موعظة بالغة أيضاً للذي يُفتي الناس بغير علم فيضلّهم عن طريق الحق، ويرسلهم نحو الضلالة، يقول الله عزّ وجل:

((وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ))[2]

فيا أخي العزيز إن الله أعطاك هذا اللسان فاحفظه واستخدمه في طريق هداية الناس وليس في أذيتهم.[3]

---

(١) الإنتصار للعاملي: ج٣، ص٥٠٦.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٩.
(٣) قصص وخواطر للشيخ البحراني: ص٢١٠، برقم ١٥٥.



الحلقة Č
الكيمياء

العناصر الكيميائية

عندما يقوم العلماء بتحويل المواد أو جعلها تتفاعل فيما بينها، بغية الحصول على مواد جديدة، تبقى العناصر الكيميائية بدون أن يحصل لها أي تبدل أو تغيير، فهي تنتقل من جسم كيميائي إلى آخر دون أن تتغيّر.

أثناء إجراء أي تفاعل كيميائي، نجد أن عدد الذرات الإجمالي لكل عنصر لا يتغير مطلقاً.

أما الفرق بين العنصر والذرة، فيتكوّن الجسم الصافي البسيط من نوع واحد من الذرات، ويتكون الجسم الصافي المركب من عدة أنواع من الذرات، قد تمتزج أو تمتد عدة أجسام بسيطة صافية لتكوّن جسماً مركباً صافياً.

العنصر هو ما يعدّ مشتركاً مع الجسم البسيط، وكل مركباته، فعنصر الحديد مثلاً (جسم صافٍ بسيط) هو مشترك مع معدن الحديد وكل المركبات التي يدخلها الحديد مثل أوكسيد الحديد، سلفور الحديد... وغيرهما.

وعندما يحول الكيميائي الأجسام البسيطة أو الأجسام المركبة الصافية، فإنه يحصل على مواد جديدة، يتم التبدل فيها بين الذرات والجزيئات فقط.(١)

من هو أول عالم في علم الكيمياء

هو أبو عبد الله جابر بن حيان بن عبد الله الأزدي، طبيب عربي، وعلّامة مسلم بارز، برع في علوم الكيمياء والفلك والهندسة وعلم المعادن والفلسفة والطب والصيدلة، ويعد أول من مارس الكيمياء عمليًا، عاش في العراق بالكوفة وبغداد.

ولد على أشهر الروايات في سنة ١٠١ هـ/٧٢١م، وقيل أيضاً ١١٧ هـ/ ٧٣٧م، عالم عربي وقد اختلفت الروايات على تحديد مكان مولده فمن المؤرخين من يقول بأنه من مواليد الجزيرة على الفرات شرق سوريا، ومنهم من يقول أن أصله من مدينة حران من أعمال بلاد ما بين النهرين في سوريا.

ولعل هذا الانتساب ناتج عن تشابه في الأسماء فجابر المنسوب إلى الأندلس هو العالم الفلكي العربي جابر بن أفلح الذي ولد في إشبيلية وعاش في القرن الثاني عشر الميلادي. ويذهب البعض إلى أنه ولد في مدينة طوس، من أعمال خراسان في إيران، وتوفي في الكوفة في عام ١٩٩هـ الموافق ٨١٥م، على اختلاف بين المؤرخين.

وهو أول من اشتغل بالكيمياء القديمة ونبغ فيها، حتى إن العرب سمَّوا الكيمياء عامة (صنعة جابر)، إشارة إلى أن (جابر ابن حيان) هو أول من زاولها، وكشف عن مفردها ومركّبها، وتناول في كتاباته الفلزات وأكاسيدها وأملاحها، وأحماض النتريك والكبريتيك والخليك، وعالج القلويات وحضَّرها ونقَّاها بالبلورة والتقطير، والترشيح، والتصعيد، والملغمة، والتكسيد.

في بداية القرن العاشر الميلادي، كانت هوية وأعمال جابر بن حيان مثار جدل كبير في الأوساط الإسلامية، عرفه الغرب المسيحي باسم (باللاتينية: Geber)، مما تسبب في جدل كبير لوجود كتابات في القرن الثالث عشر مكتوبة باللاتينية في الكيمياء والميتالوجيا، لكاتب غير معروف كان يوقّع باسم (Geber).

ويذكر الأب جورج قنواتي أن جابرًا انتقل إلى الجزيرة العربية بعد وفاة والده، وهو صغير حيث درس القرآن والرياضيات، وذهب ابن النديم في الفهرست إلى الاختلاف حول نسبة جابر إلى الشيعة أو البرامكة أو الفلاسفة، بل أن هناك من أنكر وجوده أصلاً، لذلك يجب التحفظ بشأن نسبته إلى الصابئة.

وإن كان أصله من خراسان فقد عاش معظم حياته في الكوفة.

وقد هاجر من اليمن إلى الكوفة في أواخر عصر بني أمية، وعمل في الكوفة صيدلانياً.

اختلفت بعض المصادر حول كونه عربيّاً أزديّاً أم فارسياً.

في حين يعتقد هنري كوربين أن جابر ابن حيان لم يكن عربيًا وإنما كان من موالي قبيلة الأزد.

و انضم إلى حلقة جعفر الصادق- عليه السلام-. فتلقى علومه الشرعية واللغوية والكيميائية على يديه، كما درس أيضًا على يد الحميري، رغم تشكيك البعض تتلمذ جابر على يد جعفر الصادق- عليه السلام-.

لقد عمد جابر بن حيان إلى التجربة في بحوثه، وآمن بها إيمانا عميقا. وكان يوصي تلاميذه بقوله: (وأول واجب أن تعمل وتجري التجارب، لأن من لايعمل ويجري التجارب لا يصل إلى أدنى مراتب الإتقان. فعليك يابني بالتجربة لتصل إلى المعرفة).(٢)

---

(١) موسوعة ويكيبيديا، الموضوع: كيمياء.
(٢) موسوعة كنز المعرفة، الكيمياء.

صدر حديثاً

عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة
الكتاب الموسوم بـ(نساء الطفوف)، للباحثة الاجتماعية كفاح حداد

